

البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية – عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (1)

الناشر:

مكتبة الهداية

الطبعة الأولى 1410هـ _ 1989م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أوضح الحق بدليله.

ونور بصيرة من أراد سبيله وبعد:

فإن رسالة البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية بقلم مشعل الهداية ورائد التدليل لأقوم سبيل العلامة الشيخ/عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ/قد أعرب مؤلفها بفصيح اللسان وساطع التبيان أن العبودية لله وحده حبا وتعظيما وذلا وانكسارا وأن الوثنية المحبوكة باسم حب الأولياء وقداصة الصالحين ما هي إلا نافذة على ما كان عليه أبو جهل وأضرابه الذين قال الله عنهم إنهم قالوا **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}** (1). والشيخ عبد اللطيف في ردوده بقرن الدليل بالتعليل والأسلوب الدعوي بالمنطق الجدلي وزيادة في التحقيق قام أخونا الفاضل الشيخ محمد عارف بن عثمان الهرري الأرومي بنسخ الرسالة من أصلها وتخريج الآيات والأحاديث والآثار الواردة فيها مع إضافة ما استحسنته مما هو شاهد للباب.

وقد أعنته على ذلك بالدعاء وبذل الوسع في إخراج الرسالة ضمن ما تنشره مكتبة دار الهداية وغايتنا في ذلك نيل المراد بعفو رب العباد والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون وحسبنا الله وكفى نعم المولى ونعم النصير. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه إسماعيل بن سعد بن عتيق

15/5/1409

(1) سورة الزمر: من الآية رقم 3.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن ترسم خطاهم إلى يوم الدين وبعد.

فإن هذه الرسالة القيمة النافعة التي ألفها العالم الجليل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد قطعت أصول الشرك واجتثت جذوره حيث كاد الباطل يجول ويصول ليغرس شجرة خبيثة ترسخ عروقها في قعر الأرض وتمتد فروعها في السماء لتثمر ثمارا مسمومة هالكة، ولكن الله سبحانه وتعالى كفى عباده المؤمنين شرورها وأضرارها حيث وفق هذا العالم النحرير بقلعها وقوي عزمه وشد أزره ليستأصلها من جذورها إنجازا لوعده بقوله: **{ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ }**(1) وذلك أن رجلا ينسب إلى فارس- كما ذكره المؤلف- أراد أن يهدم الأساس المتينة التي أحكمها الباري وأتقن بناءها وأرسى قواعدها في أغوار أراضي الفطرة وأعماق قلوب البرية بالحب والذل له والطاعة في السر والعلانية، وأنزل الكتب وأرسل

ص 5--

(1) سورة إبراهيم: الآية رقم 26.

الرسول لهذا الغرض العظيم وهو تجريد العبادة لله وإخلاص الدين له والتبري عن عبادة غيره وتخصيص المعبود الواحد خالق الخلق رب العالمين بالدعاء والطلب والقصد والرجاء والرغبة والرغبة والمحبة والتوكل في نيل المرغوب وحصول المطلوب ودفع المرهوب وإنقاذ الملهوف المكروب دون غيره من الآلهة الباطلة التي يعبدها المشركون من دونه.

وأجاز هذا الضال المضل أن يصرف جميع ذلك لغيره تعالى في جلب الخير وسلب الضير، ولذلك لا يشك المؤمن الذي أنار الله بصيرته أن ما قام به هذا الشخص المذكور معول هدام استعمله لهدم هذا الركن الوثيق لولا عنايته لدينه الحنيف وحفظه له من أن يناله التبديل والتحريف والتغيير تصديقا لوعده حيث قال: **{ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }**(1) إنكاره لما دعا إليه القرآن والسنة المطهرة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وسلف هذه الأمة وأجمعت عليه الأئمة الأعلام ومصادم للعقل الصريح والنقل الصحيح إذ عدل المخلوق بالخالق الرازق وسوى العاجز الفاتر بالقادر القاهر سبحانه وتعالى عما يشركون فكفر بذلك برب العالمين، قال تعالى منزها نفسه المقدسة عن النقائص ومثنيا عليها بصفات الجلال والجمال ونعوت المدح والكمال: **{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }**(2).

وقال تعالى حاكبا عين شجار وخصام أهل النار فيها حيث يتبرأ العابدون عن المعبودين الذين عبدوهم في الدنيا من دون الله: **{ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ فَكَبُّوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ }**(3).

ص 6--

وقد تجرأ هذا الجاحد المعاند على ترويح الزيف والضلال وغارفي عمق الإلحاد وبالغ في ترويح الخرافات والشرك والعناد حيث حاول أن

(1) سورة الحجر: آية رقم 9.

(2) سورة الأنعام: آية رقم 1.

(3) سورة الشعراء: من الآية رقم 92 إلى 99.

يمنح العباد ما هو خالص لرب العباد وقرر أن غيره تعالى يعلم الغيب ويتصرف في الكون وينجد الملهوف وينقذ المكروب من الكرب الذي نزل به، وبذلك صرف لغيره تعالى حقه الخاص به، وساق أدلة من الكتاب والسنة على ذلك التي تدل على فراغ جعبته من فهم الشريعة وعلى جهله المركب حيث ظن أن هذه الأدلة التي استدل بها حجة له لا عليه ولم يدر هذا المسكين أنها شاهدة على بعده عن الحق والصواب وعمقه في الغي والضلال حيث يعتبر هذا التبجح منه جحوداً لما نطق به القرآن وقام عليه البرهان من تفردته تعالى بعلم الغيب قال تعالى: **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}** (1) ونحو هذه الآية الكريمة كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تخص الباري بعلمه الغيب و تنفي ذلك عن غيره نفيًا قاطعاً إلا ما يعلمه أنبياءه بطريق الوحي مما استثناه الخالق من هذا العلم الخاص به مثل قوله تعالى: **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}** (2) وقوله: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}** (3) الآية.

ولا شك أن هذا الكلام الذي كتبه هذا الشخص حول هذه الشبهة التي غرق فيها يدل على مرض قلبه إذ علامة مرض القلب عدوله عن الأغذية النافعة الموافقة إلى الأغذية الضارة، وعدوله عن دوائه النافع إلى دوائه الضار.

ص 7--

فهنا أربعة أشياء:

غذاء نافع، ودواء شاف، وغذاء ضار، ودواء مهلك.

والقلب الصحيح يؤثر النافع الشافي على الضار المؤذي، والقلب المريض بضد ذلك، وأنفع الأغذية غذاء الإيمان، وأنفع الأدوية دواء القرآن، وكل منهما فيه الغذاء والدواء، فمن طلب الشفاء في غير الكتاب والسنة فهو من أجهل الجاهلين وأضل الضالين، قال تعالى: **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ**

(1) سورة النمل: رقم السورة 65.

(2) سورة البقرة: من الآية 255.

(3) سورة الجن: الآية 26-27.

شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا

فإن القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية وأدواء الدنيا والآخرة وما كل أحد يؤهل للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به ووضع على دائه بصدق وإيمان وقبول تام واعتقاد جازم واستيفاء شروطه لم يقاومه الداء أبداً وكيف تقاوم الأدوية كلام رب العالمين الذي لو نزل على الجبال لصدعها أو على الأرض لقطعها؟ فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا في القرآن سبيل الدلالة على دوائه وسببه و الحمية منه لمن رزقه الله فهما في كتابه.

ولكن هذا المردود عليه لم يهتد بهديه ولم يستضيء بنوره بل أراد أن يحمله ما لم يحتمله وضل سواء السبيل حيث ادعى أن غيره تعالى يعلم الغيب مما نفاه القرآن عمن سواه وزعم أن دليل ذلك من القرآن والحديث ولا شك أن ما ذكره حجه عليه لا له.

وانطبق عليه المثل "حفرت الشاة بظفلها المسكين بحثها حتفها" وهو مثل يضرب لمن يؤديه اجتهاده في الأمر إلى هلاك نفسه والقضاء عليها من حيث لا يشعر ذلك وهذا جزء من كابر صريح العقل وصحيح النقل و عادى الحق ووالى الباطل ونصر البدعة وحارب السنة حتى أدى به الأمر إلى دعواه علم الغيب لغيره جل وعلا ووجد بذلك ما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة **{فَمَادَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}** (2).

ص 8--

3-وزعم أيضا أن الأولياء و الصالحين لهم تصرفات في الكون في الحياة وبعد الممات ينفعون ويضرون ويعطون ويمنعون ويقصدون من دون الله في جلب الخير ودفع الضرر وقضاء الحاجات وكشف الملمات ويسمعون نداء المنادي بهم ويجيبون صيحتهم وقد أبعدهم بذلك في الضلال وأعماق في بحور الشرك وجاوز الحد وجعل الله الشريك والند في تعريف الأحوال وتدبير الأمور وإعطاء المطالب وكشف المثالب مما هو حق خالص الله، وقد أشرك

(1) سورة الإسراء: رقم الآية 82.

(2) سورة يونس: رقم الآية 32.

عباده معه في تصريف الكون ووجد بذلك توحيد الربوبية الذي أقره المشركون والكفار والخليفة جمعاء والذي لم يحصل النزاع فيه بين جميع الطوائف قط، ولاشك أن ذلك يعتبر جحودا للصانع المدبر الحكيم الخالق الرازق المحيي المميت رب العالمين الذي لم يجحد به العقلاء حتى الفلاسفة إلا طائفة شذت ونهجت نهجه وإلا فرعون الطاغية الذي ادعى الربوبية مما حكى عنه القرآن حيث قال: **{أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى}** (1) وادعى كذلك الألوهية حيث تبجح وقال: **{مَا عَلَّمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}** (2) الآية وقال أيضا: **{لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءُ غَيْرِي لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}** (3) ولكن الله انتقم منه وعاقبه على هذا الادعاء حيث أخبر ذلك بقوله: **{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى}** (4) **{فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ}** (5)، **{فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ}** (6).

وهكذا كل من سلك هذا المسلك الإلحادي الذي سلكه فرعون ومن كان على شاكلته سيلقى جزاءه ويذوق وبال أمره إن عاجلا أو آجلا وله عذاب أليم في الدنيا والآخرة.

وقد بين الله سبحانه وتعالى إقرار الجميع بهذا النوع من التوحيد حيث أنزل الآيات التي قررت ذلك بوضوح لا يخالطه أي لبس قال تعالى: **{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}** (7).

ومن هنا نعرف تماما أن الذين عبدوا غير الله من المشركين الأولين لم يعبدوهم إلا ليكون هؤلاء المعبودون وسطاء بينهم وبين الله في رفع طلبهم إلى الله كما حكى الله عنهم ذلك بقوله: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ**

ص 9--

- (1) سورة النازعات: من الآية 24.
- (2) سورة القصص: من الآية 38.
- (3) سورة الشعراء: من الآية 29.
- (4) سورة النازعات: الآية 25-26.
- (5) سورة القصص: رقم الآية 40.
- (6) سورة الأعراف: رقم الآية 136.
- (7) سورة يونس: الآية 31-32.

اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (1).

ولم يوجد من بينهم من صرف خالص الحب والذل والخضوع والعبادة والطلب والقصد والخوف والرجاء لغيره ولم يشركوا مع الله أحدا في الربوبية والخالقية والرازقية بل كان شركهم في العبادة والقصد والطلب والخوف والرجاء حتى أنهم لم يخلصوا ذلك لألهتهم بل أشركوا الله معهم في ذلك كما قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}** (2) الآية.

ولقد كرر الحق سبحانه وتعالى ذكر توحيد الربوبية في مواضع كثيرة من كتابه إقامة للبراهين الساطعة والدلائل الواضحة والحجج المقنعة على وحدانيته ووجوب عبادته وطاعته وحبه والذل والخضوع له ووجوب الكفر بما يعبد من دون الله والبراءة منه عما سواه.

ومعنى هذا الكلام: أنتم أيها العقلاء من الإنس والجن إذا اعترفتهم وأقررتهم أن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت والمعطي المانع يعطي ويمنع ويعز ويذل ويقدر على كل شيء ويعلم كل شيء لا يعزب عن علمه مثقال حبة من خردل، إذا اعترفتهم أن جميع ما في الكون علويه وسفليه ملكه وخلقه يدير كيف يشاء لا معقب لحكمه فهذا الإقرار والاعتراف يوجب عليكم أن تخصوه بالعبادة والحب والذل والخوف والرجاء والرغبة والرغبة فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا

تسعدوا في الدنيا والآخرة فإن أبيتهم تخصيصه بذلك فلا نجاه لكم في الدنيا والآخرة لأنكم معاندون ومكابرون وكاذبون فيما أقررتم به من توحيد الربوبية الذي يستلزم توحيد الألوهية لأن توحيد الربوبية دليل على توحيد الإلهية والعبادة والقصد ووسيلة له.

قال تعالى: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ}**(3).

(1) سورة الزمر: رقم الآية 3.

(2) سورة البقرة: رقم الآية 165.

(3) سورة الأعراف: الآية 172-173.

والمشار إليه في اسم الإشارة في قوله تعالى: **{إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ}**(1) هو توحيد الألوهية المدلول عليه بتوحيد الربوبية الذي هو غاية له، والدليل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم "يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: أرايت لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به. قال فيقول نعم فيقول: قد أردت منك أهون من ذلك قد أخذت عليك في ظهر آدم أن لا تشرك بي شيئا فأبيت إلا أن تشرك بي" رواه البخاري ومسلم وأحمد. فإذا صرف هذا الفارسي توحيد الربوبية الذي وحد الله به جميع الخلائق ولم يقع الخصام فيه فإذا صرف هذا للمشايخ والأولياء والصالحين فما باله في توحيد الألوهية الذي أبى أن يقره المشركون ورفضوه والذي أوجب الله الجهاد لتقريره وأرسل الرسل وأنزل الكتب له وهو أشد عنادا وجحودا في هذا النوع من التوحيد حيث أنه صرح أن الأولياء والمشايخ والصالحين يقصدون لقضاء الحاجات وكشف البليات سبحان الله ما أعظم هذا الشرك وأقبحه وما أجهل من اعتقد هذا الاعتقاد وأغفله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

4- وكذلك رمى من أخلص الدعاء والتوجه والقصد والرجاء والخوف الله وحده لا شريك له وتبرأ عما سواه في جميع ذلك بالاعتزال جهلا منه بأصول المعتزلة ومذاهبهم وعقائدهم وقد انقلب رأسا على عقب حيث لم يفرق بين الغث والسمين. 5- كما قرر أيضا بجواز الاستمداد من أهل القبور وقطع بسماعهم في القبور من يناديهم في طلب قضاء الجوائح وإسعاف الفواجع وجزم كذلك أنهم يتصرفون ويدبرون الكون في قبورهم وأن تدبيرهم وتصريفهم وإغاثتهم لقاصديهم أتم وأقوى من حال حياتهم، ومن هنا نعرف أن هذا المبتدع لم يترك شيئا مما هو خالص حق الله إلا صرف لهؤلاء الأموات الذين هم في أمس الحاجة على الترحم عليهم والاستغفار لهم والدعاء لهم بالعفو والرحمة. كما أرشد الله عباده المؤمنين إلى ذلك بقوله: **{وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ**

(1) سورة الأعراف: من الآية 172.

بَعْدَهُمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ{(1)، سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين.

هذا موجز تلك الشبه التي أثارها هذا الجاحد المبتدع وأراد أن يغزو بها قلوب الغافلين ويروجها بين البسطاء وبذل أقصى جهده في نصر الباطل وإبطال الحق وقد أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن ما عدى الله ورسوله فأولئك في الأذلين حيث قال: **{وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}**{(2).

فأنى له ذلك وقد وعد الله سبحانه وتعالى أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويخزي أهل الزيغ والفساد واليثرنك والإلحاد ويحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الملحدون أمثاله والحمد لله رب العالمين قال تعالى: **{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}**{(3).

وقال جلا وعلا أيضا: **{وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}**{(4).
وقال تعالى: **{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}**{(5) **{وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}**{(6).

هذا ولما وقف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله على الأوراق التي كتب فيها هذا الشخص المذكور هذه الآراء الفاسدة والأفكار المسمومة والعقائد الزائفة بادر إلى نقضها وإبطالها وبيان زيغها ورفع الستار عنها بالدلائل المقنعة والحجج المدمرة التي تبعد تلك العقبات التي تعترض طريق الحق وتعوق السالك عن السير فيه وتعرقله، ولقد وفقه الله في نقض الغبار الذي ذره هذا الجاحد الملحد على صفحات عقائد السلف البيضاء

ص
-12-

-
- (1) سورة الحشر: رقم الآية 10.
 - (2) سورة العنكبوت: من الآية 52.
 - (3) سورة الأنفال: الآية 8-7.
 - (4) سورة يونس: رقم الآية 82.
 - (5) سورة الأنبياء: رقم الآية 18.
 - (6) سورة الإسراء: رقم الآية 81.

النقية النظيفة ليعطيها بهذه الشراكيات والخرافات والجحود والإلحاد حيث وقف رحمه الله عند كل رأي باطل رآه وشبهه ذكرها ووفات طويلة ودقيقة وقف من ذلك موقف ناقد بصير ومدرك ونظر فيها نظرة عميقة ثاقبة وأرسل سهامه إلى تلك الوحوش الضارية وسدد إليها وأرداها قتلى وبدد تلك الحجج الواهية التي احتج بها من الكتاب والسنة على زعمه بالدلائل التي لا تدع مجالاً للشك ولا ريباً للمرتابين والشاكين وتزداد يقينا وثباتاً لأهل الإيمان والبصيرة والمعرفة كما ستقف أيها القارئ إن شاء الله تعالى على تلك الردود الحسان التي تناولها الشيخ في نقض هذه الشبه الواهية وتفكيكها وتمزيقها إرباً إرباً كل رأي على حدة وكل شبهة بانفرادها بحيث لا رواج لها بعد ذلك أبداً ولا غرابة في ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل العلماء العاملين الذين يعلمون الناس الخير ويمنعونهم عن الشر مفاتيح الخير ومغاليق الشر والله الحمد والمنة على ذلك.

هذا ولقد شرفني الله سبحانه وتعالى بهذه الخدمة البسيطة حيث جعلني أحظى بتحقيق هذه الرسالة النافعة وأسهم في قراءتها ونسخها والتعليق عليها بما من الله على مع الاستفادة منها بما حوته من بيان مناهج السلف وعقائدهم ودحض آراء الملحدون والمارقين وأفكار المبطلين بالأساليب التي تقنع أهل الحق وتفحم أهل الباطل مما يزيد القارئ المتأمل والسامع المتدبر قوة في الإيمان وثباتاً في العقيدة ورسوخاً في الشريعة وبصيرة في الدين وتمربناً على مواجهة الشبه الباطلة وجلداً في المناظرة التي يقارع بها المحق أهل الجدل والكلام، ومن هنا يتبين القارئ أنها فريدة في نوعها قل أن تجد القرائح بمثلها أسأل الله سبحانه وتعالى أن يسبل على مؤلفها وابل الرحمة والرضوان والعفوان وأن يسكنه وجميع المسلمين فسيح الجنان يا حنان يا منان يا ذا الفضل والإحسان وأنت المستعان.

هذا وقد كان قيامي بهذا العمل المتواضع -تحقيق هذه الرسالة التي هي مفخرة لأهل التوحيد ومنار لطلاب الحق ورواد الإيمان وحماة هذا الدين الحنيف وحملة الشريعة- تلبية لرغبة أخي في الله الشيخ إسماعيل بن سعد

ص
-13-

بن عتيق في إحياء هذا التراث العظيم الذي خلفه جهابذة العلماء ونشر مذهب السلف في بفاع المعمورة التي ابتلي أكثر أهلها بأمثال هذا المردود عليه الذين يروجون الخرافات والأباطيل ويحاربون عقائد أهل السنة والجماعة من أفراد الله بالعبادة والحب والذل والخوف والرجاء وإثبات ما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسله من الأسماء والصفات ونفي ما نفي عن نفسه المقدسة ونفي عنه رسله من النقائص حيث طلب مني ذلك سائلا العلي القدير التوفيق والسداد، تقديرا لحرصه الشديد ورغبته العميقة في هذا الخير العميم وتعاوننا على البر والتقوى وإدراكا مني بحسن ظنه في. أسأل الله العلي العظيم أن يحقق رغبته ويتم نواياه الحسنة وينفذ عزمه يجعل هذه الجهود المتواضعة موفقة فيما يحبه ويرضاه وخاصة لوجهه الكريم، كما أسأله سبحانه - وهو ولي ذلك- أن يبارك فيه وفي عقبه كما بارك في أصوله حيث كانوا بيوت العلم والمعرفة والدين والعبادة والتواضع كما أرخ لهم ذلك في تاريخ علماء نجد ويغفر لي ولوالدي ووالديه وجميع المسلمين وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بقلم

ص
-14-

محمد العارف بن عثمان بن موسى الهرري الأرومي

منهج التحقيق:

تمهيد:

يجدر بنا أن نذكر في هذا المقام الجهود المباركة التي قام بها أسلافنا الأمجاد (علماء المسلمين) حيث غادروا هذه الفانية وقد خلفوا وراءهم موارث عظيمة فريدة عديمة النظير، بيد أن هذه الموارث الغالية -مع الأسف- لم تخلد كما هي بل طرأت عليها صروف الدهر من المحن التي أدت إلى تلف أعظم ثروة علمية نادرة أنتجها هؤلاء المخلصون وقدموها للأجيال المتعاقبة لتكون لها نبراسا ودليلا إلى كل خير ولكن الله شاء أن تتلف جل هذه الجهود الجبارة التي لا نظير لها حيث سلط أعداء المسلمين على بلادهم بسبب معاصيهم وأتلف هؤلاء الكفار أكثر المؤلفات العلمية القيمة بإحراقها وإغراقها وتمزيقها -مما يرثى له- وبعض هؤلاء الأعداء الذين أقدموا على هذه الجرائم البشعة نقل معه إلى بلاده ما تبقى من هذا العمل الإجرامي- المؤلفات القيمة النافعة من فنون متعددة دون أن يدركوا قيمة ما تحويه هذه الكتب التي نقلوها معهم، وغرضهم من ذلك أن يجعلوها مظاهر تاريخية يحتفظون بها في مكتباتهم كمتاحف للزوار. وحتى هذه الكتب المنقولة إلى بلادهم بالنسبة لما بقي في المكتبات الإسلامية الذي لم يقع في أيدي هؤلاء المتلفين كثيرة جدا كما ذكر ذلك المؤرخون(1) الذين ألفوا في

ص
-17-

(1) مثل ابن كثير في حوادث سنة 545 في البداية والنهاية.

الكوارث التي أصيب بها المسلمون في تلك الحقبة مما يبكي كل من يحب الفضائل ويكره الرذائل، وقد بقيت هذه المؤلفات المنقولة من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفار محتفظة في مكتباتهم مئات السنين ولا علم للمسلمين بشأنها إلا ما تحيل إليه الكتب الموجودة لديهم كمراجع، ولما أراد الله إبرازها لورثتهم الحقيقيين حفز همم الكفار إلى دراسة اللغة العربية التي ألقت بها غنيمتهم هذه وكتبت بها تلك الكتب العظيمة دراسة عميقة بليغة فهموا من خلالها أسرار اللغة العربية ومراميها الدقيقة وطرق كتابتها وتأليفها وأضافوا إلى هذه الثقافة الجديدة ما عندهم من قواعد ومناهج متبعة في تحقيق المخطوطات ونشر التراث، ولما اطلعوا على هذه الكتب العربية الإسلامية التي زخرت بها مكتباتهم بعد هذا الفهم الدقيق فساهموا إلى إحيائها ونشرها بعيدة عن التبديل والتغيير لأنهم طبقوا في نشر النصوص العربية القواعد التي تتبع في أوروبا لنشر النصوص الكلاسيكية وهي قواعد دقيقة تضمن الأمان في إخراج النص وتضمن أن يأتي النص المنشور كما وضع في أصله وهذا يمثل قول الشاعر:

وإذا أراد الله نشر فضله طويت
أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار ما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف العود

ص
-18-

هذا ورغم أن الهدف الأساسي من هذه الدراسة نيل الإسلامي والمسلمين وطعن أقدم ما يملكونه من الكتاب والسنة وتشويه جمالهما الباهر بيد أنهم أنصفوا في هذه الجانب -في تحقيق المخطوطات ونشرها حيث أزموا أنفسهم أن ينتهجوا تلك القواعد المتبعة في إحياء التراث عندهم سواء كان عربيا أم غيره- وهو إخراج النص المنشور سليما كما وضع في أصله وإلا يعتبر عيبا فاحشا في دنيا الثقافة لديهم ويتمثل فيهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "صدقك وهو كذوب". هذا ولم يأل أيضا الورثة الحقيقيون -علماء هذه الأمة- جهادا في الحفاظ على ما سلم من صروف الدهر وتحقيق ونشر ما تبقى في أيديهم

وتعويض مكتبات المسلمين التي أتلقتها الأيدي الآثمة الفاجرة بما جادت به قرائحهم من تأليف ما يقرب ذلك المتلف من العلوم النافعة إلا أنهم لم يضعوا قواعد متبعة توحد مسالكهم في تحقيق المخطوط ونشر التراث مثل هؤلاء المستشرقين مما دعا بعض علماء المسلمين إلى الاعتراف بفضلهم وتنويه شأنهم. وممن نوهوا -شأنهم في هذا الجانب- من العلماء المفكرين الذين ألفوا الكتب النافعة في قواعد تحقيق المخطوطات الدكتور صلاح الدين المنجد حيث قال(1):

اهتم العرب في ريع القرن الماضي بنشر تراثهم القديم وتحقيقه، وكان المستشرقون قد سبقوا إلى نشر هذا التراث منذ أكثر من مئة عام فنشروه متبعين نهجا علميا دقيقا مع ضعف فريق منهم باللغة العربية أو اطلاع آخرين منهم عليها. وشاء العرب أن يحذو حذوهم في تحقيق النصوص، فنجح أناس أوتوا العلم والمنهج العلمي، وأخفق آخرون أعوزهم المنهج العلمي الذي ينبغي اتباعه في النشر وحاول هؤلاء ستر نقصهم هذا بالغض مما نشره المستشرقون واتخذوه هزوا ثم زاد الاستخفاف مما نشر المستشرقون وبالمنهج الذي اتبعوه عن جهل بالمنهج العلمي وعصبية ضده ورأينا كل ناشر ينهج في نشره منهجا ويزعم أنه ابتدع طريقة، ومن الإنصاف أن نقرر أن المستشرقين كان لهم فضل السبق في نشر تراثنا العربي منذ القرن الماضي وأنهم أول من نبهنا إلى كتبنا ونوادير مخطوطاتنا وأنهم وضعوا بين أيدينا نصوصا لولاها لم نعرفها نضرب على ذلك مثلا، ففي سنة 1866م نشر وستنفلد (معجم البلدان) لياقوت وفي سنة 1819 نشر فريتاغ (المنتخب) من تاريخ حلب لابن النديم.

وقال الدكتور صالح المنجد: وكان على ناشري النصوص من العرب

ص
-19-

(1) أنظر كتابة قواعد تحقيق المخطوطات ص 7 الطبعة الرابعة بيروت.

اتباع الطريقة العلمية التي اتبعها المستشرقون والاطلاع على قواعدهم واقتباسها أو اقتباس الجيد منها واتباع قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات والأعلام.

هذا وما ذكره الدكتور -أثابه الله- هو محاولة توحيد طرق نشر النص المخطوط وقد كتب في ذلك كتابا أسماه (قواعد تحقيق المخطوطات) ولخص فيه المناهج السليمة التي تنتهج في إبراز الكتاب نزيها من كل عيب يمس النص متنا وحاشية.

وقد أفاد هذا الكتيب طلبة العلم في هذا المجال، والكتاب مع صغر حجمه استوعب الطرق المحكمة في نشر المخطوطات.

فجزى الله المؤلف خيرا عن العلم وأهله.

هذا وقد رحبت هذه القواعد التي ألفها الدكتور صلاح الدين المنجد لتكون دليلا للمحققين من قبل كبار العلماء حيث قدمت إلى مؤتمر المجامع العلمية الذي انعقد بدمشق سنة خمس وستين وتسعمائة وألف 1965م للنظر فيها، ودرست لجنة التراث العربي في المؤتمر هذه القواعد وأشادت بقيمتها ووافقت عليها لتكون دليلا للناشرين عندما ينشرون النصوص القديمة. هذه شهادة من علماء أجلاء يعتمد على قولهم، وترجمت هذه القواعد إلى ست لغات أجنبية غير عربية، الفرنسية والإسبانية والإيطالية والفارسية والتركية والإنكليزية.

هذا وقد ذكرت هذا التمهيد لعلاقته بهذا الموضوع الذي نحن بصدده حيث أنه تحقيق التراث القديم المخطوط، والله ولي التوفيق والسداد وهو حسينا ونعم الوكيل.

1- منهج تحقيق هذه الرسالة

إن أول عمل يقوم به المحقق في هذا المجال السعي إلى معرفة نسخ

الكتاب المخطوط القديم، فإذا كانت للكتاب نسخ عديدة بينها تفاوت ما اعتمد على نسخة يراها أوثق وأنقى ويجعل الباقيات للمقابلة لتكمل بعضها بعضا.

وعندما لا تتوفر للمحقق إلا نسخة واحدة بعد استنفاد الطاقة في التفتيش عن نسخ الكتاب فإنه يعتمد على النسخ ويقابلها مع النصوص المقتبسة عنها في المؤلفات اللاحقة.

وهذه النسخة التي اعتمدت عليها في التحقيق فريدة، أعني أن هذه المخطوطة التي حققتها لم أجد لها إلا نسخة واحدة وبذلت قصارى جهدي لأجد نسخا أخرى لأستعين بها على إتقان العمل فلم أعر على شيء منها مما اضطرني أن أراجع كتب كثيرة من مؤلفات المؤلف حيث كانت له ردود مثلها على بعض المتجاهلين للحق.

إلا أن النسخ الذي نسخ النسخة التي بين يدي كتب في آخرها على هامش المخطوط ما نصه: (بلغت مقابلة على أصل المصنف والله الحمد والمنة).

وهذا يدل على أن النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخطه موجودة في مكان ما حتى قوبلت عليها هذه النسخة التي أمامنا كما أثبتته النسخ.

وقد ذكرت ذلك لأن قواعد تحقيق المخطوطات تنص على عدم جواز نشر كتاب مخطوط على نسخة واحدة إذا كان للكتاب نسخ أخرى معروفة لئلا يعوز الكتاب إذا نشر التحقيق العلمي و الضبط ولكن هذه النسخة مصححة وسليمة وكاملة ولم يوجد فيها أي نقص وبياض إلا في موضعين، وقد ملأت ذلك بما جاد الله مما يناسب الموضوع ومع ذلك استنفدت طاقتي في مراجعة المظان التي توجد فيها المعلومات التي سجلها المؤلف كما يقتضي منهج التحقيق عندما تكون النسخة المخطوطة فريدة وبالله التوفيق.

ص
-20-

ص
-21-

2- توثيق صلتها بالمؤلف:

والمرتبة الثانية من قواعد التحقيق دراسة الكتاب المنشور من حيث صلتها بالمؤلف لأن بعض المخطوطات لا تحمل اسم المؤلف لحرصه على إخفاء نفسه خوفاً من الرياء والسمعة والعجب وفي تلك الحال يتم توثيق الصلة بالمؤلف بما يلي :

1- شهرة ذلك بطريق التواتر عن الموثوقين من التلامذة والزملاء والمعاصرين أن هذا المخطوط من مؤلفاته.

2- شهادة المؤتمنين العارفين بذلك.

3- كون الأساليب التي كتب بها المخطوط مشهورة بالمؤلف بحيث أن العبارات التي سيقت في تركيب الجمل مما يخصه وذلك أن لكل مؤلف بصمات لا تحاكي غيره وطريقة خاصة بتأليفه.

4- وجود المخطوط بخط المؤلف أو خط وراقه الخاص به.

5- تصريح المؤلف في أحد كتبه بأن من مؤلفاته كتاباً فلانيا وغير ذلك مما يوثق صلة المخطوط به ويقوي إضافته إليه. ولكن الأمر هنا واضح لا خفاء عليه إذ كتب على غلاف الرسالة ما يصرح بأنها تأليف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ رحمهم الله ومن هنا لا داعي إلى تطويل الكلام في ذلك والله الموفق لكل خير.

3- إن الغرض الأساسي الذي يصبو إليه المحقق هو إبراز الكتاب المنشور بصورة مشرفة صحيحة كما وضعه مؤلفه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً على أن يستنفذ جهده وطاقته في ذلك والغاية القصوى أن يحقق المخطوط وينشر سليماً من الأخطاء النحوية واللغوية والإملائية. وأما ما يحتاج إليه من بيان الغامض وحل المشكل وشرح الخفي فذاك

ص
-22-

في الهامش وهذا هو غاية التحقيق، وقد بذلت قصارى جهدي في ذلك ما استطعت إليه سبيلاً والله أسأل الإعانة والتوفيق والسداد فيه.

4- النقص والبياض

تشير قواعد تحقيق المخطوطات إلى أنه إذا كان في الأصل المخطوط نقص وبياض فإنه يوضع مكانه نقط كل ثلاث نقط مكان كلمة... ولكن كما أشرت إلى ذلك لم أفاجأ أثناء نسخ الأصل بالنقص والبياض إلا موضعين وقد كملت ذلك النقص وسددت ذلك الفراغ بما يناسب المقام والله الحمد والمنة على ذلك.

5- الآيات القرآنية

الآيات القرآنية التي استدلت بها المؤلف في الرسالة ذكرت اسم سورتها وسجلت رقم الآية التي جاءت فيها.

وقد جرت عادت المؤلفين عند استدلالهم بآية قرآنية في مؤلفاتهم باقتصارهم على موضع الاستشهاد وعدم كتابتها كاملة غالباً بيد أنهم يأمرهم غيرهم بإكمالها بهذا الرمز (الآية) وقد درج المؤلف رحمه الله تعالى على هذه القاعدة حيث أنه رمز في كثير من الآيات التي استدلت بها في الرسالة بهذا الرمز (الآية) ولم يرسمها كاملة ولكنني لم أنحتها مثل نحتها بل رسمتها كاملة إتماماً للفائدة حيث أن معظم الناشئين لم يكونوا حفاظاً لكتاب الله فإذا أرادوا أن يقرأوا الآية كاملة يضطرون إلى فتح المصحف وهذا يستغرق أوقاتاً لا يستهان بها، وأما الآيات التي كررها المؤلف في الاستدلال نحتها كما نحتها وكما أنني في المقدمة التي كتبتها للرسالة رمزت إلى بعض الآيات التي استشدهت بها. والطريق المثلى في رسم الآيات القرآنية كتابتها بالرسم العثماني الأول بيد أنني رسمتها بالرسم الإملائي المعهود بين المعاصرين في أغلب الأحيان

ص
-23-

خوفا على أكثر القراء الذين لا يتقنون الرسم العثماني من الوقوع في الخطأ في تلاوة كتاب الله كما لوحظ على كثير منه حيث أن الرسم العثماني مختلف المنطوق والمخطوط أحيانا ولا يتأتى إجادة التلاوة إلا بالتلقي وهذا أمر معروف لدى أهل هذا الشأن.

وحسما لما يعتقد أكثر الناس من عدم جواز كتابة الآيات القرآنية إلا بالرسم العثماني واعتقاده وجوب ذلك -وحقيقة الأمر هو هذا الاعتقاد- إلا أن ذلك في رسم المصحف كاملا أو بعض الأجزاء القرآنية أو السورة كاملة.

وأما الآية أو بعض الآيات التي يستدل بها المؤلفون التي تتداولها أيدي مختلفي الثقافات فأرى وجوب رسمها بالرسم المعاصر صونا لكلام الله من التحريف والتبديل والغلط من قبل الجاهلين لحقيقة هذا الرسم كما ذهب إلى ذلك عز بن عبد السلام رحمه الله تعالى.

6- الأحاديث التي جاءت في صلب الرسالة

وقد أورد المؤلف رحمه الله تعالى الأحاديث التي استدل بها في الرسالة دون أن يعزوها إلى مصادرها الأصلية ولم يذكر الرواة الذين رووها ولا درجتها وكان عملي في ذلك أنني خرجتها في الحاشية وبينت درجتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا وعزوتها إلى مصادرها الرئيسية التي وردت فيها كما أسندتها إلى روايتها ومع ذلك لم أستوعبها بذلك حيث أشكل علي بعض المصادر وهي قليلة جدا، ولعلي إن شاء الله سوف أتلافى ذلك في هذا الطبع أو طبع آخر إن شاء الله.

7- الحواشي (الهوامش)

ولا شك أن بصمات التحقيق بعد نسخ المخطوطة تتسم في وجود الحواشي حيث أن ذلك يشمل ذكر سور القرآن ورقمها ورقم الآيات التي جاءت مستدلا بها في صلب المتن، وتخريج الأحاديث التي وردت في النص

المحقق، وبيان درجتها من الصحة والضعف وحجيتها وعدمه، وحل المعقد من تراكيب الجمل والألفاظ والعبارات وبيان المشكل من ذلك وشرح الغامض وتوضيح معاني الألفاظ التي لا يظهر معناها بأدنى تأمل. وقد توسعت في التعليق في بعض الصفحات من الحاشية حيث أن المقام قد اقتضى ذلك ولم يسمح لي الاختصار وإن كان هذا التوسع من حيث منهج التحقيق يعتبر إفراطا مملا بيد أن الإسهاب في تعبير الكلام وأداء المراد الذي لا يؤدي إلا به لا يكون مذموما بل هو ممدوح قد اقتضاه التعليق، وأما ما عملته في هذا الجانب فهو متوسط موف بالمقصود على حد قول الشاعر:

رخيم الحواشي لا هواء ولا نرز
فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

لها بشر مثل الحرير ومنطق
وعينان قال الله كونا فكانتا

والله أعلم بالصواب.

8- الأعلام الذين ذكرهم المؤلف في المخطوطة

وقد ترجمت لبعض الأعلام الذين جاء ذكرهم في الرسالة ببيان سنتي مولدهم ووفاتهم، وذكر مؤلفاتهم التي خلفوها تراثا للمسلمين، وأعمالهم التي تقلدوها في حياتهم من التدريس والقضاء والدعوة المباركة التي عملوها والموعظة الحسنة التي أنقذ الحيارى من جرائها حيث أن ذلك يتحتم على المحقق توضيحه، وأما الأعلام المشهورون الذين لا غرابة فيهم ولا تخفى تراجمهم على أفراد الناس فضلا عن العلماء وطلاب العلم فلم أتعرض لتراجمهم باعتبار أن ذلك تحصيل حاصل مثل الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وأصحاب الأمهات الست البخاري ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه، وغيرهم من المشهورين الذي يشار إليهم بالبنان والله أعلم.

9-الكتب التي جاءت أسماؤها في الرسالة

فإذا كانت الكتب التي أوردتها المؤلف مشهورة فلا أتعرض لذكر موضوعها ولا ذكر مؤلفيها ولا أطلب توثيقها لمؤلفها لأن شهرتها تغني عن ذلك. وأما إذا كانت غريبة فأحاول قدر المستطاع توضيحها بذكر مؤلفها ومضمونها وقيمتها العلمية من بين الكتب التي ألفت في ذلك الفن الذي يدور الحوار فيه.

10-النقط والفواصل والإشارات

وقد درجت في ذلك على ما درج عليه المحققون والكتاب من وضع نقطة كبيرة عند انتهاء المعاني في الجمل، ووضع الفواصل بين المتعاطفات، بيد أنني قللت من وضع الفواصل بين ذلك عمدا لأنها ليست ذات أهمية قصوى إذ غايتها إشعار الفصل بين الألفاظ والعطف بين الجمل، ويسهل علم ذلك بدونها، واستعملت إشارة الاستفهام؟ والتعجب! في أماكنها، ووضعت نقطتين بعد القول هكذا قال شيخنا: وإذا ورد قولان فأضع نقطتين بعد قال الثانية مثل قال أبو بكر وقال عمر:

11-الأقواس والخطوط والرموز

القوسان المزهران يحصران الآيات القرآنية. الفاصلات المزدوجة تحصر أسماء الكتب إذا وردت في النص المنشور. الخطان القصيران يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية غير النسخة المعتمدة.

ص
-26-

القوسان المكسوران يحصران ما يضيفه الناشر من عنده كحرف أو لفظ يقتضيه السياق. القوسان المربعان يحصران ما يضاف من نصوص ثانية نقلت إلى النص أو استشهدت به وما يضاف من عنوانات جديدة. وهذان القوسان داخل النص يحصران وجه الورقة المخطوطة فيكتب مثلا (15ب). هذان القوسان داخل النص يحصران ظهر الورقة المخطوطة فيكتب (25ب). يردف هذان القوسان مع كلمة كذا بما يبهم على المحقق قراءته ويثبت كما ورد. هذه الفقرات البائية من كتاب قواعد تحقيق المخطوطات للدكتور صلاح الدين المنجد لأهميته لعمل التحقيق والله المرجو لجلب الخير ودفن الضير.

12-ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى

تتضمن هذه الترجمة مولده ونشأته وهجرته من بلده مصر لظروف دعته وأسرتة إلى ذلك، والرحلات العلمية التي قام بها في ممارسة التحصيل العلمي الخير والحياة السياسية التي دارت أفلاكها هنا وهناك قوة وضعفا وآخر يوم لقائه لخالقه وإياه نسأل أن يجعل خير أيامنا يوم نلقاه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه ومن ترسم خطاهم إلى يوم الدين.

ص
-27-

1-الشيخ العلامة محمد بن محمود الجزائري.

2-والشيخ العالم الفرضي المعروف إبراهيم الباجوري شيخ الجامع الأزهر آنذاك.

3-والشيخ العالم مصطفى الأزهري.

4-والشيخ أحمد الصعيدي.

وغير هؤلاء المذكورين من كبار علماء مصر والمغرب المقيمين في الأزهر ونال إجازات كثيرة من جلة العلماء الأفاضل وأجيز في مسلسلات الحديث المشهور وعرف آنذاك في الأزهر الشريف بالعالم النجدي وكانت له مجادلات ومناظرات في كتب السلف ومعتقداتهم وقد أشار إليه مؤرخ الجبروتي في تاريخه.

ص
-31-

عودته إلى نجد

فلما طهرت نجد من الجيش العثماني المحتل ونادى داعي العودة في ربي نجد مستنهضاً الهمة في استعادة مجد الدعوة وبناء كيان الدولة الإسلامية السعودية من جديد وكان ذلك المنادي أحد القادة الكبار الإمام تركي بن عبد الله بن مؤسس الدولة الأولى محمد بن سعود، وكان الشيخ عبد اللطيف ووالده الإمام الشيخ عبد الرحمن بن حسن والد المترجم له أول من سارع في الخطو إلى نجد فتقدم أبوه عبد الرحمن بن حسن وتأخر الشيخ عبد اللطيف عنه مدة من الزمن كان مشغولاً فيها بطلب العلم واستجلاء الأمر واستيضاح السبيل ثم خرج إلى نجد عام أربعة وستين ومائتين وألف بعد استشهاد الإمام تركي بن عبد الله في حادث اغتيال لثم فتولى السلطة بعده الإمام العادل والزعيم الكبير فيصل بن تركي خرج الشيخ عبد اللطيف من مصر متوجهاً إلى نجد عن طريق مكة المكرمة.

ص
-33-

قال صاحب كتاب علماء نجد خلال ستة قرون (الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام): حدثني وجيه الحجاز الشيخ محمد بن حسين بن عمر بن عبد الله نصيف قال: بينما الشيخ عبد اللطيف يطوف بالكعبة بعد انصرافه من القاهرة إلى نجد إذ بصر به أمير مكة الشريف محمد بن عون وهو في بيته المطل على الحرم ومعه عبد الله بن محمد بن عون وهو يومئذ قائم مقام مكة المكرمة، فأرسلا إليه أحد خدامهما يطلبان منه المجيء إليهما فلما فرغ

الشيخ من طوافه وصلاته ذهب إليهما وكان قد تعارف معهما في مصر فقابلاه بالحفاوة والإكرام وعاتباه على عدم نزوله عندهما فاعتذر إليهما الشيخ عبد اللطيف بقوله: إني خشيت من إمارة مكة أن تردني إلى مصر فطمأناه وتحدثنا معه عن صفة خروجه من مصر فقال: اشتقنا إلى بلادنا ووجدنا السبيل إلى الخروج ميسراً فأكرماه بما يليق بمقامه ثم توادعوا لقرب سفر الشيخ إلى نجد.

وكان قدومه الرياض -العاصمة الجديدة للمملكة السعودية- عام أربعة وستين ومائتين وألف للهجرة 1264هـ وصاحب السلطة المطلقة يومئذ الإمام فيصل بن تركي في بلاد نجد وأبوه الشيخ عبد الرحمن بن حسن هو المرجع في الشؤون الإسلامية والشرعية.

وكان الشيخ عبد الرحمن قد دخل العقد الثامن من عمره واحتاج إلى مساعد قوي يعينه على مهامه الكبيرة الكثيرة وأعماله الجليلة. وكان في مقدمة مستقبله والمرحبين إياه يوم قدومه الرياض علماً بالجهاد ومجدداً الدعوة في عصرها الثاني الإمام فيصل بن الإمام تركي وأبوه الشيخ عبد الرحمن بن حسن ووالده آنذاك رئيس العلماء ومفتي الديار، فاستقر الشيخ المترجم له في مدينة الرياض بعد رحلة شاقة قطعها متنكراً من مصر حتى مدينة الرياض وقد تعرض في تلك الرحلة لمشاق كبيرة وجرت له حوادث طريقه ساعد على تجسيمها وتضخيمها لهجته المصرية التي هي غير مألوفة في نجد ولباسه التنكري الذي أراد منه أن يخلص من سفه جهال البادية وقطاع الطرق المنتشرين في طريقه. وعندما استقر به المقام في الرياض اتخذ من المسجد الكبير المعروف بمسجد الشيخ (عبد الله) مدرسة كبيرة لتدريس مختلف الفنون والعلوم لا سيما تلك العلوم التي لم يشتهر نعيمها في نجد سابقاً مثل علوم البلاغة وقواعد الفقه والأصول والتجويد بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي كانت معرفة في نجد، وقد عرف حينذاك بسعة الأفق في العلوم وقوة الحافظة والقدرة على التعبير.

ص
-34-

رحلته إلى الأحساء

عندما دانت الأحساء ونواحيها للإمام فيصل بن تركي وكانت إذاك مدينة حضرية مزدهمة بالعلماء والأدباء رأى الإمام فيصل أن يبعث ذلك العالم الجليل إليها للقيام بمهمة نشر العقيدة السلفية التي يتردد في قبولها فئة خاصة من العلماء هناك ويرون في مذهب الخلف غنى وعلما أكثر مما في مذهب السلفي وهناك تجرد الشيخ عبد اللطيف لمناظرتهم ومذاكرتهم وتقرير عقيدة السلف بينهم فاستجاب له معضمهم والتقت قوة الفكر بقوة المعتقد فزلزلت العقائد المشوهة وانتشر مذهب السلف أيما انتشار وانتفع بوجوده في الأحساء كثير من العلماء وسمعوا منه وتلقوا عنه علوما لم تكن معروفة في غير الأزهر. مهام ووظائفه

التي شغلها بعد عودته من الأحساء

ثم عاد الشيخ عبد اللطيف إلى مدينة الرياض ليكون مستشارا ومفتيا ومساعد لوالده الذي بلغ من الكبر حد العجز عن تولي تلك الشؤون فكان عضدا للإمام فيصل ومفتيا له ولم يعرف أن الإمام فيصل خرج في غزوة إلا كان الشيخ عبد اللطيف في رفقته وبصحبه عدد من طلبة العلم ومجموعة من الكتب في الفنون المختلفة. وكان الشيخ عبد اللطيف ينتهز الفرصة في تلك الرحلات فيعظ ويذكر وينشر الدعوة ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويتعرف على طبيعة البلاد وسكانها فيمد إمام المسلمين بالرأي والمشاورة. وله صفات ذاتية وفكرية مميزة، فهو أكثر علما ممن سبقه من آل الشيخ باستثناء والده وحده العظيم محمد بن عبد الوهاب، ومن أبرز صفاته الجسدية أنه كان ضخم الجثة قوي البنية سليم الأعضاء والحواس أبيض مشربا بحمرة كث اللحية مستدير الوجه جهوري الصوت حاد البصر، وكان جميل الخط

ص
-35-

واضح العبارة فصيح اللسان تغلب على لغته الدارجة اللهجة المصرية الخفيفة.

وكان يحب -أحيانا- أن يحافظ على زيه الأزهري، فكثير ما يلذ له أن يلبس العمامة والثوب الفضفاض وكان مهيب الطلعة جسورا في قول الحق وكان ذكر الله وتلاوة القرآن ديدنه يتفانى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويحب أن ينصح غيره ويستمتع إلى نصيحة غيره وكان يحزر الرسائل الكثيرة المشتملة على المعاني والنصائح القيمة يوجهها إلى العلماء والقضاة والأمراء والملوك وكانت بعض رسائله العامة ونصائحه تتلى في المساجد على العامة بعد أداء فريضة الصلاة في كل مناسبة تجد أو تحدث.

وكان الشيخ عبد اللطيف مع علمه الغزير وفضله الكبير سياسيا داهية خبير بشؤون المجتمع وعندما وقعت الفتنة العمياء بين أولاد الإمام فيصل عبد الله الفيصل وسعود الفيصل بعد وفاة والدهما سعى المؤلف إلى إخمادها ولذلك لم يستقر له قرار ولم يهنأ له بال حتى هدأت تلك الفتنة وانجابت تلك الغمة وبذل رحمه الله من ذاته ورأيه في إخمادها ما جعل كل مواطن يذر فضله ويعترف له بالفضل والقدرة وحسن التصرف ولقد طال أمد تلك الفتنة العمياء وامتد زمانها فكانت مليئة بالحزن والأسى والفرغ لكنه رحمه الله وقف منها موقف الشرف الذي شهد له بالزعامة والإخلاص والوطنية ويؤخذ من كتاباته التي سجلها في هذه الفترة ومن مجادلاته لغيره من العلماء حول تلك الفتنة أنه كان ينظر إليها من زاوية تختلف عن كل رؤية يراها البسطاء وضعفاء الهمم.

ص
-36-

وقد كانت نظرتة العميقة الشاملة لتلك الفتنة أنها ليست بين أميرين فحسب وإنما كانت أبعد عمقا وأكثر اتساعا فقد كانت تستهدف دك حصون الدعوة وسحق الكيان المتماسك الذي أسسه السادة من آل سعود وكان المؤلف رحمه الله يرى أن الخوف كل الخوف ليس من نزاع الأميرين وإنما يرقب بحذر تحرك الأعداء التقليديين والأعداء الدخلاء المترصبين الجائمين

على الحدود، لهذا كان يرى أن أيا من ذينك الأمرين استطاع الغلبة وقيادة السفينة وأصبح قادرا على الولاية فإنه أحق من صاحبه لا سيما قد كان كل منهما متحمسا للدعوة وللحفاظ على ذلك التراث العظيم الذي تركه فيصل وقد جاء في إحدى رسائله لمن لأمه على هذا المسلك قوله: أما ما صدر في حقي من الغيبة والقذح والاعتراض والمسبة ونسبتي إلى الهوى والعصية فتلك أعراض انتهكت في ذات الله أعدها لديه جلا وعلى ليوم فقري وفاقتي وليس الكلام فيها وإنما المقصود بيان ما أشكل على الخواص والمنتسبين من طريقتي من تلك الفتنة العمياء الصماء إلى أن قال: فوقاني الله شر تلك الفتنة ولطف بنا وإنما الكلام في بيان ما نراه ونعقده في أمر الولاية بعد الغلبة والقهر فهي تنفذ بها الأحكام وتوجب الطاعة في المعروف كما عليه كافة أهل العلم على تقادم الأعصار ومر الدهور.

ص
-37-

مؤلفاته الغذة

ومع انشغاله بالمهام والأعمال الكبيرة ومع حصول هذه الفتنة العمياء الصماء ومع اختطاف المنية له وهو في منتهى قوته ونشاطه وإنتاجه فقد شارك مشاركة كبيرة في المؤلفات إلا أنها في الرد على المبطلين ودحض شبه المنحرفين ففتن السياسة وفتن الإلحاد لم تعطه الفرصة لإتمام شرح النونية وإتمام شرح الكبائر وإخراج كتب أخرى تعالج علوما غريبة أو تقرب مسائل بعيدة. ولذا مؤلفاته رحمه الله هي:

- 1- منهاج التأسيس في الرد على داود بن جرجس.
- 2- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام.
- 3- البراهين الإسلامية في الرد على الشبهة الفارسية. وهو الذي نحققه الآن.
- 4- الرد على عبد المحسن الصحفي.
- 5- عيون الرسائل والمسائل على أن له مجموع رسائل وفتاوى تبلغ إلى ست وسبعين رسالة وقد جمعها الشيخ سليمان بن سمحان.

ص
-38-

تلاميذه

- ومن تلاميذه الذين تلقوا العلم عنه:
- 1- ابنه العلامة الشيخ عبد الله
 - 3- الشيخ حسن بن حسين آل الشيخ
 - 5- الشيخ محمد بن محمود
 - 7- الشيخ صعب التويجري
 - 9- الشيخ عبد الرحمن بن محمد المانع
 - 11- الشيخ إبراهيم بن عبد الملك آل لشيخ
 - 13- الشيخ أحمد بن عيسى
 - 15- الشيخ محمد بن إبراهيم بن يوسف
 - 17- الشيخ صالح بن فرناس
 - 19- الشيخ عبد العزيز بن عبد الجبار
 - 21- الشيخ عبد الله الوهبي
 - 23- الشيخ عبد الله بن جريس
 - 2- أخوه الشيخ إسحق
 - 4- الشيخ سليمان بن كمان
 - 6- الشيخ حمد بن فارس
 - 8- الشيخ محمد بن عمر بن سليم
 - 10- الشيخ محمد بن عبد الله بن سليم
 - 12- الشيخ علي بن عيسى
 - 14- الشيخ عثمان بن عيسى السبيعي
 - 16- الشيخ عمر بن يوسف
 - 18- الشيخ صالح الشهري
 - 20- الشيخ عبد العزيز العديان
 - 22- الشيخ عبد الله الخرجي
- وكثير من حملة العلم الكبار هم تلاميذه والأخذون عنه لانفراده في زمنه.

ص
-39-

وفاته وثناء أهل الفضل عليه

توفي رحمه الله في مدينة الرياض في اليوم الرابع عشر من شهر ذي القعدة عام ثلاثة وتسعين ومائتين وألف للهجرة النبوية 1293هـ. وله من العمر يومئذ ثمانية وستون -68- عاما سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين سبحان الحي الذي لا يموت ولا يزول وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ص
-40-

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد.

فإن قد وقفت على أوراق كتبها بعض الملحدين يرد فيها بزعمه ما دل عليه الدليل من وجوب إخلاص الدعاء لله وترك مسألة ما سواه من الأنداد والأموات، وكذلك جحد فيها ما قام عليه البرهان ونطق به القرآن من اختصاصه تعالى من علم الغيب، وزعم أن للأولياء والصالحين بعد الممات تصرفا وأنهم يجيبون من قصدهم بالاستغاثة والدعاء (وإعطاء ما اختص به الباري لغيره ورد الشيخ على ذلك).

(قال الناقد الشيخ عبد اللطيف رحمه الله): وهذه الأقوال التي أوردها والشبه التي صدرها يعلم بطلانها وفسادها بالاضطرار من دين الإسلام وما جاءت به الرسل الكرام ولكن غربة الدين وقلة من يعرفه من المنتسبين قد يروج بسببها الباطل والشرك على الأكثرين. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

ص
-41-

فإذا كان عدم معرفة الجاهلية سببا لنقض العرى الإسلامية فما ظنك بمن لا يعرف الإسلام ولا الجاهلية كما هو الغالب في هذه الأوقات.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أخذ (1) حصة بيضاء فوضعها في كفه ثم قال: هذا الدين قد استضاء استضاء هذه ثم أخذ كفا من التراب فجعل يذره على الحصة حتى واراها ثم قال: والذي نفسي بيده ليجيئ أقوام يدفنون هذا الدين كما دفنت هذه الحصة ولتسلكن طريق الذين كان من قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل. يشير رضي الله عنه إلى جنس هؤلاء الذين يلقون على عوام الناس وضعفاء البصائر من الشبهات ما يستميلونهم به إلى دعاء غير الله والالتجاء بسواه والاعتماد والتوكل على الأولياء والصالحين، حتى ينسلخ من استجاب لهم من حقائق الملة والدين، ويصير في زمرة الجاهلية والمشركين.

وفي حديث ثوبان: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) (2)

(1) وهذا الأثر الذي ذكره حذيفة رضي الله عنه لم أطلع على لفظه في الكتب الصحاح - وإن لم أستوعبها - إلى قوله رضي الله عنه (ولتسلكن طريق الذين كانوا من قبلكم) - وأما هذه الفقرة الأخيرة فجاءت مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما وأيضا معنى هذا الأثر السابق جاء مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من رواية حذيفة نفسه في صحيح البخاري حيث أسنده هذا الإمام محمد بن إسماعيل رحمه الله فقال: حدثنا محمد بن المثنى: حدثنا الوليد بن مسلم: حدثنا جابر: حدثني بسر بن عبيد الله الحضرمي: أنه سمع أبا إدريس الخولاني: أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: (كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم) دعاء على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلمز جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)).

ص
-42-

وكانت الجاهلية تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم الصابيء وتقول صبا محمد لما فارق دينهم وما هم عليه من عبادة الملائكة والصالحين والأوثان وكان أبو

ص
-44-

=وأما الأمر بالمعروف فهو أنهم قالوا: علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا به، وأن نلزمه بما يلزمنا وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمونه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا.
(1) سورة مريم، آية رقم 48.

(2) إعراب هذين البيتين اللذين قالهما الإمام الشافعي رحمه الله: يا حرف نداء مبني على السكون لا محل له من الإعراب راكبا منادى نكرة غير مقصودة منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة في آخره، قف فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت والجملة من الفعل والفاعل معترضة بين الجار والمجرور ومتعلقهما بالمحصب الجار والمجرور متعلق بقف من حرف جر مبني على السكون مني مجرور بمن وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المحذوفة لضرورة الشعر منع من ظهورها التعذر الجار والمجرور متعلق براكبا واهتف الواو عاطفة مبني على الفتح اهتف فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنت والجملة من الفعل والفاعل معطوفة على جملة قف بجانب الباء حرف جر مبني على الكسر جانب مجرور بالباء وعلامة كسره ظاهرة.

جهل يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم وهو يدعو الناس إلى أن يمنعوه(1) لئلا

(1) (في الأصل ليبغ لعل الصواب لئلا يبلغ كلام ربه) في آخره الجار و المجرور متعلق باهتف والناهض الواو حرف عطف مبني على الفتح الناهض معطوف على راكبا منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بالكسرة المجلوبة على الأخير لأجل الياء التي أتى بها للقافية ويجوز أن يكون معطوفا على جانب المجرور بالباء على تقدير معنى واهتف بالمرتحلين من مسجد الخيف إن كان رفضا إن حرف شرط وجزم مبني على السكون كان فعل ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم إن الشرطية رفضا خبرها مقدم منصوب وعلامة نصبه الفتحة ظاهرة في آخره حب اسمها مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في آخره وجملة كان واسمها وخبرها فعل شرط فليشهد الفاء رابطة بأني اللام لام الأمر مبني على السكون يشهد فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وعلامة جزمه السكون الثقلان فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى الخ.

ووجه استشهاد المؤلف بهذين البيتين اللذين ذكرهما الشافعي رحمه الله أن حب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واحترامهم دين وإيمان وإحسان وليس رفضا وتشيعا شريطة ألا يجر ذلك إلى مس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدنى شيء من السب والطعن وحطهم عن المنازل التي أنزلهم الله فيها كما أن معنى الاعتزال الذي قرره القرآن هو الابتعاد عن الشرك وأهله والبراءة من كل ما يخل التوجه إلى الله وإخلاص العبادة له وليس معنى الاعتزال في القرآن ما اصطلاح عليه الفقهاء والمتكلمون والنظار من إطلاقه على مفارقة جماعة من تلاميذ الحسن البصري مجلسه مخافتا ورفضاً لما ذهب إليه مما يعتقد السلف الصالح من أصول الدين من أن مرتكب الكبيرة مؤمن لا يخلد في النار إذا مات قبل أن يتوب عنها حيث ذهب هؤلاء المعتزلون عن مجلس الحسن إلى أن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وهو بين منزلتين (الإيمان والكفر) ويخلد في النار، والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم

ص
-45-

موافقون على أن مرتكب الكبيرة مخلص في النار، قالت الخوارج: نسميه كافرا وقالت المعتزلة: نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط، وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص لا كما يقوله المرجئية من أنه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدل بها المرجئية ونصوص الوعيد التي استدل بها الخوارج والمعتزلة: تبين لك فساد القولين ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى. اهـ شرح الطحاوية ص 218.

والذين وافقوه فيما ذكر الجهمية المحضة كالقرامطة والإسماعيلية حيث وصفوه بالنفي فقط فقالوا ليس بحي ولا سميع

ولا بصير فإذا قيل لهؤلاء: هذا مستلزم وصفه بنقيض ذلك كالموت والصمم والبكم قالوا: إنما يلزم ذلك لو كان قابلا لذلك وهذا الاعتذار يزيد قولهم فسادا وكذلك من ضاهى هؤلاء وهم الذين يقولون: ليس بداخل العالم ولا خارجه إذا قيل =

يبلغ كلام ربه ويقول: لا تطيعون هذا الصابئ، ومعنى الصابئ قريب من معنى المعتزلي.
(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

قال المعتز: فصل ونحمدك يا واجب الوجود، (وقال الراد رحمه الله): هذا القول الذي صدر به رسالته وهذه العبارة لا تعرف في كلام الله الذي لا يضل من اتبعه ولا يشقى ولا في كلام رسوله الكريم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ولا في كلام أحد من أئمة الإسلام والهدى وإنما أخذها بعض المصنفين عن أهل الكلام. والمناطق التي أعرضوا في باب معرفة الله وإثبات وجوده وربوبيته عن الكتاب والسنة وما درج عليه أهل العلم والإيمان من سلف الأمة واعتمدوا في هذا الباب على مجرد الأقيسة الكلامية والمقدمات المنطقية، وأول من عرفت عنه هذه العبارة هو ابن سينا الطبيب المتكلم وخالف سلفه (1) في التعبير بهذا فإنه قسم الوجود إلى واجب

= لهم: هذا ممتنع في ضرورة العقل، كما إذا قيل: ليس بقديم ولا محدث ولا واجب ولا ممكن ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره قالوا: هذا إنما يكون إذا كان قابلا لذلك والقبول إنما

يكون من المتحيز انتفى قبول هذين المتناقضين فيقال لهم: علم الغيب بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثنى منه موجود والتحيز المذكور إذا أريد به كون الأحياء الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم وإن أريد به أنه منحاز عن المخلوقات إلى مابين لها متميز عنها فهذا هو الخروج ومن هنا تعين بطلان مذهبهم. اهـ الرسالة التدمرية ص 43-44.

(1) والمراد بسلفه الذي أشار إليه الشيخ رحمه الله هو أرسطو حيث أنه أول حامل هذه الراية الإلحادية كما ذكر ذلك غير واحد من أهل العلم وقرر ذلك الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه (الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين) الذي أوضح فيه جرائم الفلاسفة التي أدت بهم إلى الكفر بالله ورسله وملائكته وانسلاخهم عن الدين السماوي حيث قرر أنهم شر من اليهود والنصارى ومشركي العرب: قال في بيان ذلك: أما بعد فإن الله تعالى بعث رسله مبشرين ومنذرين وجعلهم الهداة والأئمة إلى كل علم صحيح نافع ودين صحيح وإلى كل صلاح وخير، وخص محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعله خاتمهم وإمامهم وأنزل عليه الكتاب والحكمة فيهما الهدى والنور، وفيهما العلوم النافعة والحقائق الصادقة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والآداب العالية إليهما ينتهي كل علم وحق وكمال. =

وممكن وجعل الممكن مستلزما للواجب لكنه قال: الواجب لا يكون إلا

= وقد أوضح الله ورسوله المسائل والدلائل والحقائق اليقينية والبراهين القطعية فمن تمسك بهما واهتدى بهما سعد في الدنيا والآخرة ومن أعرض عنهما ضل عن الهدى وشقى ونال الصفة الخاسرة.

وأعظم الناس انحرافا عنهما ملاحدة الفلاسفة وزنادقة الدهريين وهم أكبر أعداء الرسل في كل زمان ومكان وهم شرار الخلق الدعاة إلى الضلال والشقاء، فإنهم تصدوا لمحاربة الأديان كلها وزين لهم الشيطان علومهم التي فرحوا بها واحتقروا لأجلها ما جاءت به الرسل **﴿لَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** (غافر: 83) وقد أصلوا لباطلهم أصولا يقلد فيها بعضهم بعضا وهي في غاية الفساد، يكفي اللبيب مجرد قصورها عن إقامة البراهين على نقضها لكونها مناقضة للعقل والنقل ولاكن زخرفوها وروجوها فانخدع بها أكثر الخلق، أعظمها عندهم أصل خبيث منقول عن معلمهم الأول أرسطو اليوناني المعروف بالإلحاد والجحد لرب العالمين والكفر به وبكتبه ورسله .

وهذا الأصل الذي تفرع عنه ضلالهم أنه من أراد الشروع في المعارف الإلهية فاليمسح من قلبه جميع العلوم والاعتقادات وليسع في إلزتها من قلبه بحسب مقدوره وليشك في الأشياء ثم ليكتفي بعقله وخياله ورأيه، وكملاوا هذا الأصل الخبيث بحصرهم للمعلومات بالمحسوسات وما سوى ما أدركوه بحواسهم نفوه.

وهذا أصل أفسد عليهم علومهم وعقولهم وأديانهم، وقد بين الناس على اختلاف نحلهم بطلان أصولهم وأن أهلها خالفوا جميع الرسل وجميع العقلاء.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: إن العلوم المدركة بالحس إذا نسبت إلى علوم الرسل - كالعلوم المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وأحوال الآخرة والجزاء على الخير والشر وأمور الغيب بما كان وما يكون وما يسعد النفوس وما يشقيها - كانت كقطرة في بحر لحي، فأمر الغيب التي تتوقف على أخبار الرسل ووحى الله وهدايته العامة والخاصة أبطلها هؤلاء الملاحدة إذ ضيقوا دائرة المعلومات جدا في مدركات حواسهم، فلماذا حاروا واضطربوا ولم يستقر لهم قرار على أقوال تتفق عليها آرائهم لأنهم أنكروا العلم الحقيقي النافع الذي يربي النفوس ويسعدها ويرقيها في مدارج الكمال، ومن المنكر والزور تخصيصهم علومهم القاصرة بسم العلم فحيث أطلقوا العلم أرادوا به علوم الفلسفة وما نتج عنها ونفوا العلم عما سواها وهذا من باب المكابرات وقلب الحقائق وإلا فالعلم الحقيقي الذي أثنى الله عليه في كتابه علوم الرسل وهداية الوحي المنزل من عند العليم الخبير، وما سواها فإما علوم ضارة وإما قليلة النفع وإما نافعة في أمور الدنيا دون أمور الدين. أنظر كتاب المذكور ص 3-4-17-18.

واحدا فلا يكون له صفة ثبوته فسلبه صفات الكمال ونعوت الجلال ونعته هو ومن وافقه بالسلوب التي تقتضي أنه واجب العدم وهؤلاء أصابهم في لفظ واجب الوجود ما أصاب القدرية في القديم (1) والحادث والفلاسفة الذين يسندون الحوادث إلى الفلك يقولون بواجب الوجود، لكنه عندهم علم كل حال واحد في الأزلى إلى الأبد يمتنع أن يصدر عنه حادث.

(1) والذي أصاب القدرية في القديم والحادث أن القدرية أنكرة علمه القديم وأثبتة علمه الحادث وقالوا: إن الله تعالى لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوا تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقالوا أيضا: إنه يعلم الكليات دون الجزئيات، والقدر الذي هو التقدير المطابق للعلم يتضمن أصولا عظيمة.

أحدها: أنه عالم بالأمور المقدره كليها وجزئها قبل كونها فيثبت علمه القديم.

الثاني: أن التقدير يتضمن مقادير المخلوقات ومقاديرها هي صفاتها المعينة المختصة بها فإن الله تعالى قد جعل لكل شيء قدرا قال تعالى:

{وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ الْفَرَقَانَ فُذِيرًا} سورة الفرقان: من الآية 2. فالخلق يتضمن التقدير تقدير الشيء في نفسه بأن يجعل له قدرا وتقديره قبل وجوده فإذا كان قد كتب لكل مخلوق قدره الذي يخصه في كميته وكيفيته كان ذلك أبلغ في العلم بالأمور الجزئية المعينة خلافا للقدرية الذين يقولون: إنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات ويعلم الحادث دون القديم، فالقدر يتضمن العلم القديم والحادث وعلم الجزئيات والكليات قال تعالى: **{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ}** القمر 49-50. وقال أيضا: **{مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (الحديد: 22) وقال: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (الحج: 70) وهذه الآيات الكريمة من أدل الدليل على بطلان مذهب القدرية نفاة العلم القديم السابق قبهم الله وقوله تعالى: **{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (الحج: 70) من الآية 70) أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها سهل عليه عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون، وقوله تعالى: **{لِكَيْلَا تَأْسَوْا}** (الحديد: من الآية 23) الآية أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا الكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطأكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم ولا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم أي لا تفخروا بما أنعم الله به عليكم على الناس فإن ذلك ليس بسعيكم ولا بكدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا ولا بطرا تفخرون بها على العباد ولهذا قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا}** (النساء: من الآية 36) قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا، فالله تعالى يعلم أن هذا مستطيع يفعل ما استطاعه فيثيبه وهذا مستطيع لا يفعل ما استطاعه فيعذبه

فإنما يعذبه لأنه لم يفعل مع القدرة وقد علم الله ذلك منه ومن لا يستطيع لا يأمره ولا يعذبه على ما لم يستطعه. اهـ
شرح الطحاوية ص 216 بعض التصرف.

والواجب في هذا الباب و غيره اتباع ما جاء في كتاب الله والتعبير بالعبارة الشرعية التي دل عليها الكتاب والسنة وترك المتشابه من الكلام، ونحن لا ننكر أن العقل يوجب وجود رب قادر قاهر حكيم خلاق رزاق وهذا تقتضيه العقول السليمة وتوجهه الفطر المستقيمة كما دل عليه كتاب الله في غير موضع.
وهؤلاء لا يعنون هذا بل يوافقون ابن سينا وشيعته على سلب الصفات، ومن صح قصده فعلية أن يعبر بالعبارة الشرعية ويختار الوصف الذي اختاره الرب لنفسه والتعبير بالاسم الكريم المتناهي في التنزيه والتقدیس(1) المستلزم لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال.

قال الله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**(2) وقال جلا وعلا: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الطُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}**(3) وقال: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ
رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرَبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}**(4) ونحو ذلك
كثير مما يدل على تعليق الحمد بهذا الاسم الأقدس الموصوف بجميل الصفات والنعوت وقد يعلق الحمد بغيره سواء كان
جملة إسمية أو فعلية وما جاء في كتاب الله أكمل وأتم.

(قال الناقد رحمه الله تعالى):

(فصل رمي أهل التوحيد الذين أنكروا الاستغاثة بغير الله بالاعتزال).

(قال الناقد رحمه الله تعالى):

قال المعترض: اعلم أن المنكرين للاستمداد من أهل القبور أهل

ص
-49-

(1) في الأصل (والقدس - ولعل الأنسب ما أثبتناه).

(2) سورة الفاتحة: رقم الآية 2.

(3) سورة الأنعام: رقم الآية 1.

(4) سورة فاطر: رقم الآية 1.

الاعتزال مطلقا وبعض الفقهاء من أهل السنة فيما عدا الأنبياء عليهم السلام وقد ظهرت طائفة أفرطوا في الإنكار فأردت
أن أورد في هذه الأوراق شبهاتهم الدائرة على ألسنتهم مع الأجوبة وأورد أدلة لإثبات ما ينفونه (قال الشيخ عبد اللطيف
رحمه الله) والجواب عن هذا أن يقال: هذا الكلام يشهد بجهالة قائله وضلاله وإفلاسه من العلم والهدى فإن هذه
العبارة لا تصدر عن عرف الإسلام و التوحيد ولا من عرف الاعتزال والسنة، وما يراد بهما عند أهل العلم، فإن الاستمداد
من الأموات ودعائهم هو طلب المدد بما شأنه أن يستمد ويطلب فيدخل تحت هذه العبارة كل مطلوب ومرغوب من أمر
الدنيا والآخرة وهذا هو دين المشركين من الكتابيين و الأميين، قال تعالى فيمن دعا الأنبياء والملائكة والصالحين
واستمد منهم: **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَتَّبِعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}**(1).

قالت(2) طائفة(3) من السلف: نزلت هذه الآية فيمن يدعوا الملائكة والمسيح وأمه وعزيرا وصالح الجن فأخبرهم تعالى
أن هؤلاء المدعويين عبده كما أن الداعين لهم كذلك يرجون رحمته ويخافون عذابه، ومن كانت هذه حاله وهذا نعته فلا
يدعي مع الله ولا يرجى من دونه لأن الدعاء هو العبادة

ص
-50-

(1) سورة الإسراء: الآية 56-57.

(2) في الأصل قال طائفة وأثبتناه (قالت طائفة) ولعل هذه الكلمة هي الفصحى حيث جاء نص القرآن بها.

(3) وهذه الطائفة التي أشار إليها الشيخ رحمه الله بن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وهذا ما ذكره ابن كثير في تفسيره، وأما الإمام البخاري رحمه الله تعالى فلم يذكر إلا صالح الجن حيث ساق الحديث بسنده إلى ابن مسعود حدثني عمرو بن علي: حدثنا يحيى: حدثنا سفيان: حدثني سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله: إلى ربهم الوسيلة قال: كان ناسا من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم، زاد الأشجعي عن سفيان عن الأعمش: (قل ادعوا الذين زعمتم) انظر صحيح البخاري م 4 ص 1747 رقم الحديث 4437.

وهي حق الله لا يليق صرفها لغيره لكمال غناه، وعلمه وقديسيته ورحمته وقيوميته وانفراده بالتأثير والتدبير وقال تعالى: **{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}**(1).

(قال الشيخ رحمه الله تعالى): قال بعض السلف: هذه الآية تقطع عروق الشرك فإنه تعالى نفى عن دعاه المشركون أن يكون له من الملك شيء ولو مثقال ذرة ونفى مشاركته ولو قلت ونفى أن يكون له ظهير يعاونه ويؤازره لكمال غناه وعلمه ورحمته وعموم قيوميته ثم نفى الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ففي هذا من صرف الوجوه إليه وترك التعلق على غيره (2) كأننا من كان ما لا يخفى على من عقل عن الله، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُِرْتُمْ مَثَلًا فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْنَاهُم الذُّبَابَ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}**(3).

فذكر عجزهم عن خلق الذباب الذي هو من أضعف المخلوقات وأخبر أنه لو سلبهم شيئاً لم استطاعوا استنقاذه منه وهذا غاية في الحجة والبيان وتقرير ضعف من دعا مع الله ممن يستمد منه عباد القبور ومن يدعو الأموات لأن العجز عن خلق الذباب وصف مشترك بين جميع المخلوقات، فدلّت هذه الآية الكريمة مع اختصار لفظها على إبطال دعوة كل مخلوق وقررت دليلاً بذكر العجز عن خلق الذباب واستنقاذ ما سلب فأى شيء يستمد ويطلب ممن هذا حاله؟، فالحمد لله الذي جعل كتابه تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة

ص
-51-

(1) سورة سبأ: الآية 22-23.

(2) الأفصح تعدياً هذا المصدر (التعلق) بالباء ولكنه يجوز أن ينوب حرف الجر بعضه عن بعض.

(3) سورة الحج: رقم الآية 73.

وبشرى للمسلمين، وقال تعالى: **{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}**(1). وطلب الاستمداد دعاء بإجماع أهل اللغة والمفسرين قال تعالى: **{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}**(2) فأمر بدعائه وندب عباده إليه، كما قال في الآية الأخرى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**(3).

ومن دعا الناس إلى الاستمداد من الأموات ودعاهم فقد شاق الله ورسوله وسعى في صرف الوجوه عن مسألة بارئها وفاطرها إلى مسألة مخلوق ضعيف لا يملك ولا يستطيع لنفسه نفعا ولا ضرا وكيف يجيز لاستمداد من الأموات؟ (4) والرغبة إليهم من يؤمن بما أنزل الله من الكتاب والحكمة؟ قال تعالى: **{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}**(5) قيل معناها: سلوني أعطكم، وقيل معناها: اعبدوني أثبكم، والقولان متلازمان لأن كل سائل عابد وكل عابد سائل، وقال تعالى: **{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}**(6) فنفى عنهم الملك لشيء وإن قل كالقطمير الذي هو قشر النواة، وذكر أنهم لا يسمعون دعاءهم (7) وأنهم لو سمعوا على سبيل الفرض والتقدير ما استجابوا لداعيهم، فأى استمداد يبقى بعد هذا لو

الإنكار وذكروا أنه فعل عابد الأصنام قال الإمام ابن عقيل (1) في (فنونه): لما صعبت التكاليف على الجهاد والطعام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها هم لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وتخليقها وطلب الحوائج من الموتى، ودس الرقاق في القبور، فيها يا مولاي افعل بي كذا، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً فحكى الإجماع على كفر من فعله.

وقال الإمام الحافظ ابن عبد الهادي في رده على السبكي: قوله أي قول السبكي: المبالغة في تعظيمه أي تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم واجبة، يريد بها المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً حتى الحج إلى قبره والسجود له والطواف به واعتقاد أنه يعلم الغيب وأنه يعطي ويمنع ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع وأنه يقضي الحوائج للسائلين ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل من يشاء الجنة، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك (2)

ص
-54-

(1) هو أبو الوفاء ابن عقيل علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الفقيه الأصولي عالم العراق وشيخ الحنابلة في وقته من تلاميذه القاضي أبو يعلى صنف كتاباً كبيراً في مائتي مجلد سماه (كتاب الفنون) وكتاب في الفقه سماه (الفصول) في عشر مجلدات وغير ذلك توفي سنة 513 ثلاث عشرة وخمسمائة من الهجرة النبوية. اه حاشية كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 142.

(2) وهو كذلك لأن الله تعالى لم يأمر عباده أن يستعبدوا ويستغيثوا بغيره ويلتجئوا إليه كائناً من كان وذم الذين استعاذوا بالجن قال تعالى: **{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْأُنسِ يَكُونُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا}** (الجن:6)، بل أمرهم بالاستعاذة به والاستغاثة والالتجاء إليه قال تعالى: **{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ}** (المؤمنون:97-98)، وقال: **{وَإِنَّمَا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}** (الأعراف:200)، وقال تعالى: **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْعَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}** (العلق:1-2)، إلى غير ذلك من الآيات التي فيها قصر الاستعاذة والاستغاثة على الله وحده دون غيره لأن صرف ذلك لغيره شرك أكبر، والنبى صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد حتى لا يلعب الشيطان بضعفاء الإيمان ويوقعهم في الشرك من حيث لا يشعرون وبين لأصحابه أنه لا =

= يغيث أحدا وإنما المغيث لكل مستغيث به هو الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: **{أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهَ مَعَ اللَّهِ فَلْيَلَا مَا تَدْكُرُونَ}** (النمل:62).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: "كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم لبعض: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله".

قال أهل العلم: فمراد الصحابة الاستغاثة به صل الله عليه وسلم فيما يقدر عليه بكف المنافق عن أذاهم بنحو ضربه أو زجره لا للاستغاثة به صلى الله عليه وسلم فيما لا يقدر عليه.

والظاهر أن مراده صلى الله عليه وسلم إرشادهم إلى التأديب مع الله في الألفاظ لأن استغاثتهم به صلى الله عليه وسلم من المنافق من الأمور التي يقدر عليها بزجره أو ينهره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ، والحماية منه لجناب التوحيد، وتعظيم الله تبارك وتعالى.

فإذا كان هذا كلامه صلى الله عليه وسلم في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره من الأمور المهمة التي لا يقدر عليها إلا الله؟ كما هو جار على السنة كثير من الشعراء وغيرهم؟

ومن هنا يتضح لنا جلياً أن الاستغاثة بغير الله شرك بالله، بل هو أكبر أنواع الشرك لأن الدعاء مخ العبادة ولأن من خصائص الألوهية إفراد الله بسؤال ذلك. اه من شرح كتاب التوحيد تيسير العزيز الحميد ص 206.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن أكثر الناس الذين ابتلاهم الله بدعوة غيره من الموتى وغيرهم لا ترتاح ضمائرهم ولا

ص
-55-

تطمئن قلوبهم بالتوجه إلى الله في طلب قضاء حوائجهم وكشف مصائبهم ولا تنطق ألسنتهم ببناء اسم من أسماء الله وخاصة القبوريين المعاصرين بخلاف المشركين الأقدمين، فإنهم يلجأون في حال الكرب إلى إخلاص الدعاء لله وحده لا شريك له، وقد حكى الله عنهم ذلك في غير ما آية قال تعالى: **{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ صَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}** (الإسراء:67) ، وقال تعالى: **{فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُاَ اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** (العنكبوت:65) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على هذا المعنى.

وهذا من أعظم المعجزات التي أودعها الباري سبحانه وتعالى في كتابه العزيز حيث تحدث فيه عما أحدثه مشركوا العصور المتأخرة من إخلاص التوجه بدعائهم إلى غير الله في وقت البلاء والشدة رغم أن المشركين الذين عاشروا نزوله يخلصون الدعاء لله في طلب كشف ما ألم بهم من الكرب وإذا أنقذهم من تلك الكرب رجعوا إلى ما كانوا عليه من دعاء غيره معه، ومع ذلك فقد أوضح ما وقع فيه أهل العصر بعد قرون مديدة حيث أنهم إذا داهمهم =

وانسلاخ من جملة الدين، وهذا اعتقاد عباد القبور فيمن هو دون الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عن الرسول، والأمر أعظم وأطم من ذلك.

وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية قال علماؤنا من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم يكفر، فإن أراد بالعلماء علماء الشريعة فهو حكاية للإجماع على كفر معتقد ذلك وإن أراد علماء الحنفية خاصة فهو حكاية لانفاقهم. وفي شروح الدر المختار الذي هو عمدة الحنفية في هذه الأعصار: التنشيع والتشديد في ما أحدثه العامة عند قبر أحمد البدوي(1) من التعظيم وطلب الحوائج وإرخاء الستور وقال صنع الله الحلي الحنفي في كتابه الذي ألفه في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في حياتهم وبعد الممات، ويستغاث بهم في الشدائد والبلبات، وبهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء حوائجهم(2) مستدلين على أن ذلك منهم كرامة، وقالوا:

=بلاء وكرب ومصيبة لهجوا ببناء غير الله: يا سيدي فلان مدد ويا سيدي فلان أدركنا وينسون خالق سيدهم ورازقه ومدبر الأمور كاشف الضير وجالب الخير وعالم الغيب والشهادة، ولا شك أنه حجبهم وحالهم عن التلذذ بذكر اسم الباري سوء أعمالهم وخيث نوابيهم، قال تعالى: **{وَإِذَا ذَكَرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}** (الزمر:45)، وقال جل وعلا: **{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللّٰهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلّٰهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ}** (غافر:12).

ص
-56-

ومن أعرب ما شهدناه من الحقائق التي ذكرها القرآن حيال هذا المعنى الذي نحن بصده، أننا ركبنا الباخرة مع جمع غفير أكثرهم من هذا النوع، ولما أبحرنا وسرنا شوطا بعيدا عصفت ريح شديدة وتلاطمت الأمواج وأحدثت رجة عنيفة في الباخرة فإذا أهل كل بلد يصرخ بشيخه الذي يعبد فيه من دون الله وقلنا هذا غرابة الدين، وحاولنا أن نذكرهم بخالق السماوات والأرض وقابلونا بالشتم والسب ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(1) هو أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني البدوي أبو البيان شهاب الدين أبو العباس صوفي ولد بفاس وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة ودخل مصر والشام والعراق وعظم شأنه في بلاد مصر وابتلي به الجهلة حتى عبده من دون الله وأشركوه بالله وأيقن أهل الإيمان أنه عبد من عباد الله ولد سنة ستة وتسعين وخمسمائة هجرية وتوفي سنة خمسة وسبعين وستمائة ودفن في طنطا. اهـ من معجم المؤلفين لعمر كحالة المجلد الأول ص 314.

(2) في الأصل الحاجات أو كلاهما فصح.

(4) سورة المدثر: رقم الآية 38.

(5) الحديث رواه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(6) سورة البقرة: من الآية 140.

(7) وأما الكرامة الخارقة للعادة التي أجرى الله لمريم فهي ما قصت الآية الكريمة من أن الله ساق =

قال: وأما قولهم يستغاث بهم في الشدائد، فهذا أقبح مما قبله، وأبدع لمصادمة قوله جل ذكره: **{مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهًا مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ}** (1). وقال جل وعلا: **{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}** (2) وذكر آيات في هذا المعنى ثم قال: فإنه جل ذكره قرر أنه الكاشف

=إليها رزقا طعاما وفاكهة لم تكن موجودة عند كفيها الذي كفل لها بالإنفاق عليها بالقرعة كما ذكرت الآية قال تعالى: **{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}** (آل عمران: 37) وقال تعالى: **{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَفْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ}** (آل عمران: 44) وكفيها الذي تكفل لها هو زكريا الذي تحته خالتها وأيضا الخوارق للعادة التي أكرم الله بها مريم ما قصة الآية الكريمة في سورة مريم في قوله تعالى: حيث كانت في حيرة من أمرها كما حكى الله عنها: قالت: **{يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا}** (مريم: 23) فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلني واشربي وقرني عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا الآيات.

ص
-59-

وأما الخوارق للعادة الكرامة التي أكرم الله بها أسيد بن خضير فهو ما جاء في الحديث الصحيح أن أسيد بن خضير وعباد بن بشر كانا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلما خرجا من عنده صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة كان مع كل واحد منهما مثل المصباح بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهما نور يضيئه في طريقه إلى بيته، ولا شك أن ما جرى لهما كرامة من كرامات الأولياء الذين ذكرهم الله في كتابه حيث قال: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** (يونس: 62) الآيات من سورة يونس، وعن أنس رضي الله عنه أن رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما فلما افترقا صار مع كل واحد منهم واحد حتى أتى أهله رواه البخاري وفي رواية له: أن الرجلين أسيد بن خضير وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

وأما ما ذكره لأبي مسلم الخولاني من خارق للعادة فهو ما جرى له مع الأسود العنسي حيث ألقاه الأسود العنسي في لهيب النار فأنجاه الله منها وخرج منها ولم يمسه شيء وهؤلاء كلهم لم يعلموا ما أكرمهم الله به إلا بعد أن حقق الله لهم ذلك إكراما لهم على قوة إيمانهم.

(1) سورة النمل: الآية 61-62.

(2) سورة الأنعام: رقم الآية 63.

للضر لا غيره وأنه المتعين لكشف الشدائد والكره، وأنه المنفرد بإجابة المضطرين، وأنه المستغاث لذلك كله، وأنه القادر على دفع الضر والقادر على إيصال الخير فهو المنفرد بذلك فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك ونبى وولي، قال: الاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوهم كقولهم يا لزيد ويا لقوم للمسلمين(1)، كما ذكروا ذلك في كتب النحو بحسب الأسباب الظاهرة بالفعل، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد من المرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه فمن خصائص الله فلا يطلب فيها غيره.

قال: وأما كونهم معتقدين التأثير منهم في قضاء حاجاتهم كما تفعله جاهلية العرب والصوفية الجهال وينادونهم ويستنجدون بهم فهذا من المنكرات إلى أن قال: من اعتقد أن لغير الله من نبى أو ولي أو روح أو غير ذلك في كشف كربة وقضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في واد جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير.

وأما كونهم مستدلين على أن ذلك منهم كرامات فحاشا الله أن يكون أولياء الله بهذه المثابة فهذا ظن أهل الأوثان كذلك أخبر الرحمن: **{هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلِئِنَّ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}**(2).

60- وقال أيضا: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ}**

(1) في الأصل: يا لزيد يا لقوم يا للمسلمين، وهذه العبارة غير فصيحة عند النحاة حيث أنه أدخل على المستغاث له ياء النداء والمشهور دخولها على المستغاث به أو المعطوف عليه لا المستغاث له وكذلك المعطوف على المستغاث به بواسطة حرف العطف وقد حذفها رحمه الله حيث قال: يا لزيد يا لقوم الخ ويجوز أن تكون فصيحة إن أراد بالكلمات الثلاث المستغاث به وحذف المستغاث له في الجميع والتقدير يا لزيد لبيك يا لقوم لخالد ويا للمسلمين للضعفاء ولكن ذكر المستغاث به مع حذف المستغاث له لم يكن مشهوراً واعتقد أن هذا من الناسخ.

(2) سورة يونس: من الآية 18.

فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}(1).
{أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ}(2)، فإن ذكر ما ليس من شأنه النفع ولا دفع الضر من نبى وولي وغيره على وجه الإمداد منه إشراك مع الله، إذ لا قادر على الدفع غيره ولا خير إلا خيره، قال: وأما ما قالوه: من أن منهم أبدالاً ونقباء وأوتاد ونقباء وسبعة وأربعين وأربعة، والقطب هو الغوث للناس فهذا من موضوعات إفكهم كما ذكره القاضي المحدث ابن العربي في سراج المريدين، وابن الجوزي، وابن تيمية انتهى باختصار.

ومثل هذا يوجد في كلام غيرهم من العلماء، والمقصود أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور ويبينون أنها شرك، وإن كان بعض المتأخرين ممن ينسب إلى العلم والدين ممن أصيب في عقله ودينه قد يرخس في بعض هذه الأمور وهو مخطئ في ذلك، زال مخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين فكل واحد مأخوذ من قوله ومترك إلا قول ربنا وقول رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك لا يتطرق إليه الخطأ بحال، بل واجب على الخلق إتباعه في كل زمان، على أنه لو أجمع المتأخرون على جواز هذا لم يعتد بإجماعهم المخالف لكلام الله، وكلام رسوله في محل النزاع لأنه إجماع غير معصوم، بل هو من زلة العالم التي حذرنا من اتباعها.

61- وأما الإجماع المعصوم فهو إجماع الصحابة والتابعين وما وافقه وهو السواد الأعظم الذي ورد الحث على اتباعه وإن لم يكن عليه إلا الغرباء الذين أخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"**(3) لا ما كان عليه العوام والطغام، والخلف المتأخرون الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون.

(1) سورة الزمر: من الآية 3.

(2) سورة يس: رقم الآية 23.

(3) رواه مسلم.

تنبيه

اعلم أن المشركين الأولين لا يقولون بجواز الاستمداد في كل شيء، وكل مطلوب كما تقتضيه عبارة هذا المعترض لأن الله تعالى حكى عنهم في كتابه أنهم يخلصون الدعاء والطلب في الشدة والضراء كما قال تعالى: **{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}** (1) وقال: **{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}** (2).

وبهذا نعلم أن قول هذا المعترض شر من قول المشركين الأولين والله تعالى المستعان وسيأتي مزيدا لهذا عند الكلام على مسألة التصرف إن شاء الله تعالى، وقوله إن المنكرين للاستمداد مطلقا معتزلة ومن قصره على الأنبياء ليس معتزليا، وأظنه سمع إنكار المعتزلة للكرامات وإثبات بعضهم المعجزات فقط فظن أن هذه هي مسألة الاستمداد، وهذا جهل عظيم وخط وخيم، بل مسألة الاستمداد من الأموات نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر ولم يجزه أحد ممن ينتسب إلى الإسلام لا المعتزلة ولا غيرهم بل كلهم مجمعون على تكفير من فعله كما تقدمت حكاية الإجماع عن شيخ الإسلام

ص
-63-

(1) سورة الإسراء: رقم الآية 67.

(2) سورة العنكبوت: رقم الآية 65.

وليس هذا من المسائل التي تختلف فيها الأمة سنيهم وبدعيهم بل هذه من أكبر دعائم الملة وأعظم أركان الإسلام لا يخالف فيها من عرف الإسلام وما جاءت به الرسل الكرام ولكن الرجل غلبت عليه العجمة فلم يفرق بين الاعتزال وبين الشرك الذي هو الاستمداد من غير الله، قال الحسن رحمه الله: دهمتهم العجمة (1)، وقال أبو عمر وابن العلاء لعمر وابن عبيد: لما قال له: إن الله لا يخلف وعده قال له: من العجمة أتيت إن هذا وعيد لا وعد وأنشده:

لمخلف إيعادي ومنجز موعدني

وإنني وإن أوعدته أو وعدته

قال المعترض: الشبهة الأولى أن الموتى لا سماع لهم)، لقوله تعالى: **{وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ}** (2) وقوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ}**

(1) أي أصابتهم مصيبة العجمة التي هي عدم فهم الحق عن الله ورسوله وليس المراد أن كون الشخص أعجميا يعيبه ويذم له وذلك أن العبرة العلم النافع والعمل الصالح والسيره الحسنة، غد الفضل الحقيقي: هو اتباع ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من الإيمان والعلم ظاهرا وباطنا فكل من كان في ذلك أمكن كان أفضل، والفضل إنما هو بالأسماء المحمودة في الكتاب والسنة مثل الإسلام والإيمان والبر والتقوى والعلم والعمل الصالح والإحسان لا بمجرد كوزن الإنسان عربيا أو أعجميا أو أسود أو أبيض ولا بكونه قريبا أو بدويا ويشهد لذلك خير الشاهدين حيث يقول: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}** (الحجرات:13)، ويشهد أيضا لذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء: مؤمن تقى وفاجر شقى وأنتم بنوا آدم وآدم من تراب"، وفي الصحيحين عن عمر بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن بني فلان ليسوا لي بأولياء إنما وليي

ص
-64-

الله وصالح المؤمنين، فأخبر صلى الله عليه وسلم عن بطن قريب النسب أنهم ليسوا بمجرد النسب أولياء، إنما وليه الله وصالح المؤمنين من جميع الأصناف اهـ أنظر كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 144. ومن هنا نعرف تماماً أن قول الشيخ رحمه الله تعالى أنه غلبت عليه العجمة حيث لم يفرق بين الاعتزال والشرك مراده بذلك أنه ابتعد عن الجادة وأخطأ الصواب عنادا لغلبة نفسه الأمارة بالسوء ودفعا إياه إلى نصر الباطل والشرك ضد الحق والتوحيد والله أعلم.

(2) سورة فاطر: من الآية 22.

الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ{(1)}.

وإذ لا سماع لهم فلا استمداد، وهكذا نقل المعتز ثم قال: وأجيب على أن الآيتين لا تدلان على نفي السماع من الأموات لأن مبناهما على التشبيه والتمثيل والمراد هنا الكفار حقيقة، ووجه الشبه عدم الانتفاع بالسماع، وعدم الإجابة، فكما أن الأموات لا ينتفعون بسماع ولا يجيبون كذلك الكفار لا ينتفعون بسماع الموعظة، ولا يجيبون للحق فيتبعونه فكأنهم أموات، قال صاحب معالم التنزيل (2) في تفسيره قوله تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى}** أي الكفار، وقال القاضي في تفسيره في سورة النمل: إنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم لما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله تعالى: **{وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ}** فإن إسماعهم في هذا الحال أبعد.

ثم ساق حديث قتادة في سماع أهل القليب، وحديثا في سماع الميت كقرع النعال وحديث بريدة، وحديث ابن عباس في التسليم على الموتى.

وأطال الكلام بما لا طائل تحته، وكلامه يدل على عدم علم قائله وعدم شعوره بأدلة خصمه، فإن نفي الاستمداد من الموتى ودعائهم عليه من الأدلة ما لا يمكن حصره ولا استقصائه.

وعبارته التي ساقها في نفي انتفاع الموتى بالسماع، وبما يتلى عليهم

ص
-65-

(1) سورة النمل: رقم الآية 80.

(2) وصاحب معالم التنزيل هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي الفقيه الشافعي المحدث المفسر الملقب بمحيي السنة وركن الدين تفقه البغوي على القاضي حسين، وسمع الحديث منه وكان تقياً ورعا زاهدا قانعا إذا ألقى الدرس لا يبقيه إلا على طهارة توفي رحمه الله سنة عشر وخمسمائة من الهجرة النبوية وقد جاوز الثمانين ودفن عند شيخه القاضي حسين، كان البغوي إماماً في التفسير والحديث والفقه وعده التاج السبكي من علماء الشافعية الأعلام فمن تصانيفه معالم التنزيل في التفسير وشرح السنة في الحديث والمصابيح في الحديث أيضاً والجمع بين الصحيحين، والتهديب وغير ذلك وبورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول لحن نيته، أنظر طبقات المفسرين للسيوطي ص 13 ووفيات الأعيان ج 1 ص 145-146 والطبقات الكبرى لابن السبكي ج 4 ص 214-215.

كافية في إبطال الاستمداد من الموتى، وطلبهم، والاستعانة بهم وهذا والله أعلم هو مراد من نفي السماع عنهم ممن حكى قولهم الفارسي وتصدى للرد عليهم، ولا نعلم قائلًا ينفي سماع الموتى إلا بهذا المعنى. وما حكى عن أم المؤمنين في إنكار السماع ثبت رجوعها عنه لما بلغتها الأحاديث المثبتة فإذا عرفت أن نفي السماع يطلق على من لم ينتفع ولا يجب وعرفت أن هذا هو الوجه في تشبيهه من لم ينتفع بسماع آيات الله من الكفار والفساق بالموتى عرفت حينئذ وتبين لك أن عدم انتفاع الأموات بالسماع من أوضح الحجج والبيانات على أن الميت لا يدعى ولا يستمد منه لأنه إذا ثبت أنه لا ينتفع وأنه هو المشبه به بطل استمداده، واستحالة إجابته.

وفي الحديث الصحيح: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" (1) فإذا انقطع عمله وكسبه لنفسه وعجز عن ذلك، وحيل بينه وبينه فكيف يمد غيره؟ ويتصرف في شيء من ملك الله: **رُسْبَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَغْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ** (2).

واعلم أن مسألة السماع فيها كلام للمحققين لا يحيط به علما إلا من فقه عن الله قلبه ودق في باب العلم نظره، وفهمه، وأما غليظ الطبع، قليل العلم باللسان فهو بعيد عن إدراك هذا الشأن، فتأمل قوله تعالى: **وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ** (3).

ص
-66-

- (1) رواه مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
- (2) سورة يونس: الآية 70-68.
- (3) سورة فاطر: الآية 14-13.

فإن هذا فيه دعوى نفي الإجابة فقط مع بقاء أصل السماع لئلا يتحد فعل الشرط وجوابه، والأظهر أن سماع الميت مقيد بحال دون حال لا في جميع حالاته كما يشير إليه قول قتادة من أهل القليب، وحال الأموات يختلف اختلافا كبيرا (1). وللأرواح بعد مفارقة هذا الجسم شأن لا يحيط بتفصيله إلا الله تعالى، وأيضا فالفرق بين القرب والبعد ثابت عند الأئمة (2) القائلين بسماع الموتى، ومن زعم أم الاستمداد منهم جائز لا يفرق بين القريب والبعيد كما هو مشاهد ممن يدعوا الأنبياء والصالحين ويستمد منهم، وأفضل الخلق صلى الله عليه وسلم قد ثبت أنه يبلغ صلاة أمته مع البعد عن قبره ولا يسمعه فكيف بغيره؟ والاستمداد من الأموات هو أصل شرك العالم وضلالهم (3) كما ذكر غير واحد في تفسير قوله تعالى: **{وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ أَلْهَتَكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا وَلَا سِوَاءًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا}** (4).

فإن هذه الأسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح فماتوا فعكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم بقصد التشويق إلى العبادة ومحبة الصالحين فلما مات أولئك ونسي العلم قال من بعدهم إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم. وهو كما ترى صريحا (5) في أنهم عبدوا لأجل الاستمداد واستسقاء

ص
-67-

- (1) في الأصل عظيما ولعل الأفصح منه ما سجلناه.
- (2) في الأصل عند الأمة ورأينا أن الأنسب ما أثبتناه.
- (3) إعادة الضمير إلى العالم بالجمع باعتبار المعنى وأما باعتبار اللفظ فيجب عود الضمير عليه بالإفراد حيث أنه مفرد.
- (4) سورة نوح: رقم الآية 23.
- (5) والصواب رفع صريحا حيث أنه خبر مبتدأ الذي هو لفظ (وهو) وعائد ما محذوف من قوله كما ترى والجملة من الفعل والفاعل صلة الموصول لا محل لها من الإعراب والجار والمجرور متعلق بصريح والله أعلم بالصواب.

المطر، وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس(1) في قوله تعالى: **{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ}** (2) قال كان اللات رجل يلت السوق للحجاج فعكفوا على قبره انتهى، ولم يقصد هؤلاء سوى الاستمداد بالموتى والصالحين، وطلب جاههم وشفاعتهم، ولو لا ذلك لم تعبد وهذا مطلوب كل مشرك كما قال الفرابي وابن سينا وغيرهما من أكابر المشركين: إن الميت المقرب يفيض على روحه إفاضات فإذا علق الزائر قلبه وهمته به فاض على روح الزائر من روح المزيورين تلك الإفاضات كما ينعكس النور والشعاع من الجسم الصافي في المقابل، وهذا محض الشرك والكفر فإن تعليق القلب والهمة بغير الله والإقبال على سواه تعالى هو عين الشرك الأكبر الذي أنكره القرآن وكفر أهله وأباح دمائهم وأموالهم لأهل التوحيد والإيمان قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}** (3) وقال تعالى: **{وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ}** (4) وقال عن شعيب: **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** (5) والفرابي(6) وابن سينا من عباد الكواكب ومن الدعاة إلى دين الصابئة المشركين الذين بعث فيهم إبراهيم الخليل كما يعرف ذلك من وقف على كلامه.

ص
-68-

- (1) في الأصل: وذكر أبو الجوزي والصحيح ما أثبتناه وذلك أن البخاري ذكر هذا الأثر بسنده إلى ابن عباس في تفسير هذه الآية من سورة النجم ومن هنا يتبين أن ما في الأصل خطأ من الناسخ وإليك السند بتمامه، حدثنا مسلم بن إبراهيم: حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (واللات والعزى) كان اللات رجلا يلت سوق الحاج مج 4 ص 1841.
- (2) سور النجم: رقم الآية 19.
- (3) سورة البقرة: رقم الآية 165.
- (4) سورة الزمر: رقم الآية 54.
- (5) سورة هود: رقم الآية 88.
- (6) الفرابي نسبة إلى فارب من بلاد الترك وكنيته أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان =

تنمة

ما تقدم لك من حكاية قول المشركين واستمدادهم بالموتى والصالحين أخف ضررا وأقل كفرا ممن قال: يستمد من الأولياء والصالحين كما زعمه الفارسي فإن هذا شرك في الربوبية والتدبير وذاك شرك في الألوهية والعبادة فلا تغفل عن غليظ شركهم وعظيم إفكهم.

فصل

قال الفارسي: الشبهة الثانية أن الموتى لا علم لهم بأحوالنا لأن العلم بالغيب مختص به تعالى ليس لغيره لقوله تعالى: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}** (1) وقوله تعالى: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن آتَيْتَنِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}** (2) وقوله تعالى: **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}** (3)، وقوله تعالى: **{وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ}**

ص
-69-

= بن أوزلغ التركي الحكيم المشهور الملقب بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين صاحب التصانيف في الحكمة والمنطق والموسيقى، أخذ المنطق عن ابن بشرمتي بن يونس الحكيم ببغداد ثم ارتحل إلى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصراني فأخذ عنه طرفا من المنطق أيضا توفي بدمشق سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة 339 هـ أنظر كتاب الرد وابن سينا هو علي بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا البخاري شيخ الفلاسفة صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والإلهيات توفي سنة 438 هـ صنف نحو مائة كتاب منها الشفاء في الحكمة أربع مجلدات وقد

طبع منه الفن الأول من الطبيعيات والفن الثالث عشر من الإلهيات بطهران سنة ثلث وثلاثمائة وألف الهجرية انظر كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(1) سورة الأنعام: رقم الآية 59.

(2) سورة الأنعام: رقم الآية 50.

(3) سورة النمل: رقم الآية 65.

لَا سَتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ{(1)}، إلى غير ذلك من الآيات مما يدل على نفي الغيب عما سواه تعالى. وإذا كان كذلك فكيف يستمد مما لا علم له بأحوالنا خصوصا بعد الموت ؟ " قال الشيخ المحقق عبد اللطيف "

قال المعترض: و أوجب بأنها إنما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذاته بذاته بمعنى أنه لا يحصل له من غيره ولا تدل عن نفيه من عباده مطلقا بل يجوز أن يحصل لهم مستفادا من الله بأن يخلقه تعالى فيهم بلا سبب أو بالأسباب الخفية كالوحي و الإلهام والرؤيا الصالحة والمشاهدة الحقة كما يدل عليه الاستثناء في قوله تعالى: **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}**{(2)}. وقوله تعالى: **{عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}**{(3)} قال القاضي في تفسيره(4) الأول إلا بما شاء أن يعلم وقال في تفسيره الثاني من رسول بيان لمن، قال: واستدل به على إبطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والإظهار بما يكون بغير واسطة، وكرامات الأولياء بإطلاعهم على المغيبات إنما يكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بواسطة الأنبياء عليهم السلام انتهى. ثم ساق الفارسي ما جاء في مناقب عمر رضي الله عنه أنه رأى سارية من مسافة بعيدة لا يرى ولا يسمع من مثلها في العادة فنادها يا سارية الجبل، ثم قال: إذا علمت أن العلم(5) قد يحصل لعباد الله الصالحين

ص
-70-

(1) سورة الأعراف: رقم الآية 188.

(2) سورة البقرة: رقم الآية 255.

(3) سورة الجن: رقم الآية 26-27.

(4) المراد بقوله في تفسيره الأول أي الاستثناء الأول وهو(إلا بما شاء)، وبقوله في تفسيره الثاني أي الاستثناء الثاني وهو (إلا من ارتضى من رسول).

(5) في الأصل على المغيبات ورأينا أن الأنسب بالمقام الباء فأثبتناه والله أعلم.

بإعطائه إياه، والعلم صفة للنفس ينعم الله تعالى عليهم بها وهي باقية بعد مفارقة البدن فيجوز أن يكون حاصلًا لهم بعدها على وجه أتم وأكمل لأنها بعد المفارقة تتخلص عن الكدورات البدنية وتنقشع عنهما الظلمات الجسمية، **{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}**{(1)}. فكيف يقوم بذكرهم الله قياما وفعودا وعلى جنوبيهم حتى اشتعلت في قلوبهم من كثرة الذكر نار الشوق و المحبة واشتد حبهم يوما فيوما فزادوا حبا على حبهم وشوقا على شوقهم فيصبروا فانين في الله باقين به فبالله يسمعون وبه يبصرون وبه يبطنون ذلك فض الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وإذا كان حالهم في الحياة كما ذكرنا فأى سبب حدث وأزال عنهم كراماتهم؟، قال الله تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**{(2)} أي الذين يتولونه بالطاعة، ويتولاهم بالكرامة لا يلحقهم مكروه ولا يفوتهم مأمول، هكذا فسره القاضي في تفسيره ثم ساق الفارسي آثارا تروى منها حديث أنس في عرض أعمال الأحياء على أقاربهم وعشائرتهم من الموتى، وحديث أبي أيوب، وحديث جابر، وحديث النعمان.

والمعنى متقارب، ثم ذكر عن المشكاة: إذا قال العبد: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصاب كل عبد صالح في السماء والأرض، ثم قال الملا قاري(3) في المرقاة في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: **"ولا تجعلوا قبري عيدا فإن**

ص

(1) سورة الأنفال: رقم الآية 53 وهي من قبيل الاقتباس.

(2) سورة يونس: رقم الآية 62.

(3) الملا علي قاري: هو علي بن محمد بن سلطان وقيل علي بن سلطان الهروي المعروف بالقاري نور الدين فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ولد في هراة وسكن مكة المكرمة وتوفي بها وله كتب كثيرة في القراءات السبع، وشرح المقدمة الجزرية في التجويد، ومرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح في الحديث الشريف الذي جاء ذكره في هذه الرسالة وشرح =

صلاتكم تبلغني حيث كنتم " إنه قال القاضي: وذلك أن النفوس الزاكية القدسية إذا تجردت عن العلائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى لم يبقى لها حجاب فترى الكل كالمشاهدة بنفسها أو إخبار الملك من السر له وأيضا قال في المرقاة في شرح حديث: " **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي فيه من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي** ": يعني على وجه القول فيه وإلى فهي دائما تعرض عليه بواسطة الملائكة إلا عند روضته فيسمعها بحضرتة ثم قال في شرح آخر الحديث: وأما على ما قدمه الطيب وإنما يفيد حصر العرض والسماع بعد الموت بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام وليس المر كذلك فإن سائر الأموات أيضا يسمعون السلام والكلام وتعرض عليهم أعمال أقرابهم في بعض الأيام انتهى المقصود من كلامه (قال المدرك رحمه الله):

و الجواب وبالله التوفيق أن يقال: هذه المسألة بينها الله تعالى في كتابه بيانا شافيا بنصوص صريحة لا تحتمل التأويل ولا تقبل التحريف والتبديل، وتأويل هذا الفارسي لتلك النصوص من جنس تأويل الجهمية لآيات الصفات وأحاديثها، ومن جنس تحريف القرامطة والباطنية لآيات الأمر والنهي والوعد والوعيد ومتى سلط التأويل على أديان الرسل وما جاؤوا به من عند الله لم يبق شيء منها فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلال بعد الهدى ومن الغي بعد الرشاد قال تعالى: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}** (1) الآية، وقال جل وعلا: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ}** (2) الآية، وقال سبحانه: **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}** (3) الآية

ص
-72-

=الشفاء للقاضي عياض وكلها مطبوعة توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وألف من الهجرة النبوية 1014هـ أنظر الأعلام للزركلي ج 5 ص 166.
(1) سورة الأنعام: من الآية 59.
(2) سورة الأنعام: من الآية 50.
(3) سورة النمل: من الآية 65.

وقال لنبية: **{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّعَوْمِ يُؤْمِنُونَ}** (1)، وقال: **{وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلِمَةٍ تَبَصَّرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** (2)، وقال جل وعلا: **{وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** (3)، وقال: **{سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ}** (4)، وقال تعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (5).

فمدح الله تعالى نفسه وأثنى عليها بانفراده واختصاصه بعلم الغيب دون خلقه فإن كمال العلم وإحاطته بجميع المعلومات كلياتها وجزئياتها وصف كمال استحقاقه به تعالى أن يطاع ويتقى ويرجى ويعبد.

وعلم الخلائق أجمعين بالنسبة إلى علمه تعالى كنسبة ما يأخذه العصفور في منقاره من البحار كما في قصة موسى والخضر أنهما لما ركبا في السفينة جاء عصفور فنقر في البحر فقال الخضر: ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كما ينقص هذا العصفور من البحر فمن تقرر هذا لديه وأمن بما دل عليه لم يلتفت إلى تحريف معطل ولا إلى رأي مجادل مبطل.

فقول هذا الفارسي وأمثاله إنها إنما تدل على ثبوت العلم بالغيب له تعالى لذته بذاته بمعنى أنه لا يحصل له من غيره ولا تدل على نفيه من عباده.

ص
-73-

(1) سورة الأعراف: رقم الآية 188.

(2) سورة النحل: رقم الآية 77.

(3) سورة هود: رقم الآية 123.

(4) سورة المائدة: رقم الآية 116.

(5) سورة الحج: رقم الآية 70.

مطلقا قول باطل وتحريف عاطل فإن بعض هذه الآيات صريحة في النفي عن غيره تعالى وإثبات ذلك له تعالى فدل على أمرين نفي وإثبات وحق وعدل كما دلت عليه كلمة الإخلاص ومن قال: إن المعنى أنه يعلم بنفسه وليس في ذلك نفي عن سواه تعالى فهو كمن يقول: إن لا إله إلا الله دلت على إثبات إلهيته وليس فيها نفي لإلهية غيره تعالى الله عن قول هؤلاء علوا كبيرا، وهذا التحريف من وحي الشيطان الذي قصد به رد ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله، ومن دان به فقد انسلخ من الإسلام والعباد بالله ولا يمر على سمع الموحد أسدج من هذا التحريف وأشنع منه.

ومن الذي ادعى أن علمه تعالى حاصل له من غيره؟ حتى يقصد رد قوله بهذه الآيات؟ هذا لا يقوله أحد ممن أثبت للعالم صنعا مدبرا وأين قوله تعالى: **{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ}** (1)، من هذا المعنى الذي أورده

الفارسي؟ فإن صريح الآية نفي علم مفاتيح الغيب عن غيره وكذلك قوله تعالى: **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}** (2)، فيه نفي علمه عن كل من في السماوات والأرض الغيب إلا الله تعالى، وهي صريحة

في النفي عن غيره كالتالي قبلها فكلاهما دل على معنيين: ثبوت علمه بذاته ونفي ذلك عن سواه، وأبطل شيء قول الفارسي بأنها لا تدل على نفيه عن عباده وكذلك قوله لنبية: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ**

الْغَيْبِ} (3) الآية صريحة في نفي علم الغيب عن سيد ولد آدم فضلا عن غيره وكذلك قوله تعالى: **{وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (4)، تقدم الجار والمجرور يفيد الحصر والاختصاص فعلم الغيب له لا لسواه.

وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}** (5) هذا يفيد اختصاصه تعالى وانفراده بعلم الغيب لأن السياق لبيان الكمال والمدح والثناء على نفسه تعالى ولو ثبت ذلك

ص
-74-

(1) سورة الأنعام: من الآية 59.

(2) سورة النمل: من الآية 65.

(3) سورة الأنعام: من الآية 50.

(4) سورة هود: من الآية 123.

لغيره لغات المقصود من السياق وكذلك قول المسيح يشير إلى هذا كما يدل عليه إقحام (1) الضمير بين خبر إن واسمها وكما يفيد التأكيد بأن.

وفي الخبر عن جويرية رضي الله عنها: تغنت بقولها- والصحيح أنها لم تغن ولكن جاريتين تغنتا عندها كما في صحيح البخاري-: " وفينا رسول الله يعلم ما في غد فسمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: دعني هذا وقولي غيره " وفي حديث عمر في سؤال جبريل(2) عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في خمس لا يعلمهن إلا الله وتلا قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(3)

(1)سورة الحج: 70.

(2) وقد اجتمع في هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: **{سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ ...}** الآية هامش رقم 5 ص 75 ما يؤكد المعنى الذي أراد الشيخ عبد اللطيف أن يقرر بما لا يدع مجالاً للشك لأي عاقل وهي إن المؤكدة وإقحام ضمير الرفع وكون خبر أن أمثلة مبالغة وهو علام ولا يشك مؤمن في صدق هذا الناقد حيث وضع أمامه هذه الأدلة القاطعة ولكن مطموس القلب متى يتسنى له ذلك ونعوذ بالله من عمي القلب والبصيرة (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

ص
-75-

وتوضيح هذه العبارة أنه توسط ضمير الرفع المنفصل أنت بين اسم إن (الكاف) من أنك وبين الخبر الذي هو علام وهذه الأساليب كلها أساليب التوكيد كما قال ابن مالك في الفتية: ومضمر الرفع الذي قد انفصل... أكد به كل ضمير اتصل. (3) سورة لقمان: رقم الآية 34.

(4) وحديث جبريل رواه البخاري في باب الإيمان ورواه مسلم أيضا في بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم 9 و 10 و 8 ولفظ البخاري بسنده: حدثنا مسدد قال: حدثنا إبراهيم بن إسماعيل أخبرنا أبو حيان التميمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال ما الإيمان: قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسوله وتؤمن بالبعث قال: ما الإسلام؟ قال: أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تناول رعاة الإبل البهيم في البنيان في خمس الخ انظر البخاري ج 1 ص 27 حديث 50.

(4) وظاهر

وقالت عائشة رضي الله عنها: (من زعم أن محمد رأى ربه فقد كذب ومن زعم أن أحد يعلم الغيب فقد كذب) (1) وما دلت عليه الآيات من الاستثناء في بعضها كقوله تعالى: **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}** (2) وقوله جلت قدرته: **{عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِنْ رَّسُولٍ}** (3) الآية، فهذا يدل على أمرين: تأكد النفي وتحققه، وإخراج بعض الأفراد التي يعلمها من شاء الله كما يعلم بالوحي ونحوه (4).
والواجب على الناس اتباع ما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب

(1) وهذا الحديث جاء في صحيح البخاري رحمه الله بلفظ: عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب وهو يقول: **"لا تدرکه الأبصار"** ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: **"لا يعلم الغيب إلا الله"** ولفظ: (من زعم أن محمد رأى ربه فقد أعظم ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلق سادا بين الأفق).

وأخرجه مسلم أيضا في الإيمان باب: معنى قول الله تعالى: **{وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى}** رقم الحديث 177.

(2) سورة البقرة: رقم الآية 255.

(3) سورة الجن: رقم الآية 27.

(4) ولو ترك هذا اللفظ (ونحوه) من هذه العبارة لكان التعبير أعمق وأدق حيث يوهم أن ذلك إلهام وما يراه النائم في نومه ويتحقق عين ما رآه في اليقظة عملا بحديث: **"لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب في آخر الزمان"** ومن هنا يتشبه به القبوريون أمثال المردود عليه الذين يعتقدون أن الأولياء الذين يعبدونهم من دون الله يعلمون الغيب بطريق الكشف وقطعا لهذه الأوهام الخيالية فإن ترك هذا اللفظ في نظري أسلم فإن قيل بأن الوحي يتناول وحي الرسالة ووحى الإلهام وما يراه النائم في النوم فإنما تتوهمونه يرد عليه كما يرد على هذا اللفظ لقوله تعالى: **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ اللَّهُ إِلًّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآدَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ}** (الشورى: 51)، وقوله: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** (القصص: 7)، وقوله: **{وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ}** (النحل: 68).

قلنا إن الإلهام وما يراه النائم فيتحقق في اليقظة ليس من قبيل علم الغيب لا من قريب ولا من بعيد وذلك أن الإلهام هو أن يلهم الله المرء التوجه إلى عمل ما ينفعه في الدين والدنيا وإلى الكف عما يضره ويرشده إلى ذلك ويقوي عزمه عليه ويملاً قلبه ثباتا ويقينا ويشرح صدره لذلك العمل المعزوم عليه وينفذه عمليا لما وقر في قلبه كل ذلك يتم من غير علم من المرء نتيجة ذلك العمل المبرم ولكن توجهه هذا موفق لأنه إلهام من عالم الغيب الذي لا يضل ولا ينسى سبحانه وتعالى وهذا التوفيق لا علاقة للمرء بعلم الغيب وكذلك ما يراه النائم.

والحكمة وترك من انتحله المبطلون من رد النصوص بأنواع التحريفات والتأويلات المصادمة لمدلول النصوص، وتأمل قوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْعَفُوفُ}** (1)، كيف تجد تحته من إثبات الحمد والثناء المطلق على نفسه المقدسة بما دلت عليه هاتان الآيتان الكريمتان (2)، ولو قيل بمشاركة غيره في ذلك لغات الحمد المقصود ولما تأتى هذا الثناء بما يشاركه فيه مخلوق ضعيف قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: (أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم أو كما قال: وقد ذم الله اليهود بتحريف الكلم عن مواضعه فقال تعالى: **{مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْسُنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا}** (3).

وفي الحديث: **"للتبعض سنن من كان قبلكم خذوا القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى قال: (فمن)؟"** (4)

بطلان دعوى هذا الفارسي وأمثاله أن الأموات يعلمون الغيب فإن هذه الدعوة مصادمة ومصادرة لما مر من النصوص ولأن الغيب اسم يقع على كل ما غاب عن الخلق من العلوم والمعارف، وما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون كما قال العلامة ابن القيم في معنى اسمه العليم شعرا:

وهو العليم أحاط علما بالذي
وبكل شيء علمه سبحانه
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما
وكذاك أمر لم يكن لو كان

في الكون من سر ومن إعلان
فهو المحيط وليس ذا نسيان
قد كان والموجود في ذا الآن
كيف يكون ذا إمكان

فمن عرف هذا عرف أنه لا يجوز إطلاق القول بجواز حصول علم الغيب لأحد من الخلق، ومن المستحيل عقلا وشرعا وجود من يعلم كعلم الله: **{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}** (1)، ومن جهل هؤلاء القبوريين إطلاق هذه العبارة الموهومة والترويج على العوام بأن الاستثناء يدل على أن الأولياء يعلمون الغيب، وهذا كما ترى من أعظم الجهل وأقبحه، قال العماد ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا عَالِمُ الْغَيْبِ}** (2)، في هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذي يتداوله الكثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام (لا يؤلف تحت الأرض) كذب لا أصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة فلا يجيب عنها فلما تبدا له جبريل عليه السلام في صورة أعرابي كان فيما سأله أن قال: يا محمد أخبرني عن الساعة قال: **ما المسئول عنها بأعلم من السائل**: وقال في قوله تعالى: **{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}** (3) هذه كقوله تعالى: **{وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}** (4)، وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة حتى أنه لا يطلع

ص
-79-

-
- (1) سورة الشورى: من الآية 11.
(2) سورة الجن: الآية 26-25.
(3) سورة الجن: الآية 27-26.
(4) سورة البقرة: من الآية 255.

أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال: **{فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ}** (1)، وهذا الرسول ملكي وبشري (2)، ثم قال تعالى: **{إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا}**، أي يختصه بمزيد معقبات من الملائكة ليحفظوه من أمر الله ويساوموه على ما معه من وحي الله ولهذا قال: **{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا}**، ثم ذكر الأقوال في مرجع الضمير في قوله: **{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ}**، قلت: فتأمل سياق الآية فإنه بدأ (3) الكلام بقول: **{قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ}**، فنفى من علمه بقرب ما يوعدون وهو الساعة وذكر بعد هذا علمه تعالى، وأنه لا يظهر عليه أحدا من خلقه إلا من ارتضى من رسول ملكي أو بشري، وذكر الحرس والرصد الذين يكونون بين يديه ومن خلفه وهم المعقبات الذين يحفظونه من أمر الله، ثم قال: **{لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ}**، فعقد السياق فيه دلالة وبيان للمعنى المراد من الاستثناء وأن ذلك هو وحيه الذي يوحى إلى رسله من كلامه ورسالاته وهي بالنسبة إلى علم الله كنقطة من بحار الدنيا في جنب تلك البحار. وأعظم من ذلك قوله تعالى: **{وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}** (4).

ص
-80-

(1) ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى: **{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ}**

الطَّيِّبَ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتِبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ {آل عمران: 179}

(2) في الأصل الملكي والبشري معرفين ولعل الصواب ما أثبتناه لألا يتوهم أنهما تابعان ولكنهما خبران عن اسم إشارة.

(3) في الأصل (أبدأ) ولكنني بدا لي أن الأفصح بدأ حيث أنه هو اللفظ الذي ورد في القرآن كثيرا وأما أبدأ فجاء مضارعه في القرآن مثل قوله: **{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ النَّاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}** {سبأ: 49} ، ولم أر فيما علمته ماضيه فيه ولذا فضلت بوارد وأما من ناحية اللغة فلا شك في فصاحته لأنه جاء مضارعه في كتاب الله.

(4) سورة لقمان: رقم الآية 27.

فإذا كان هذا الحال بكلامه فما ظنك بعلمه تبارك وتعالى، فمن زعم أن أحدا يعلم جميع الغيب فقد أساء الأدب على الله تعالى وتقدس وما قدروا الله حق قدره.

وكذلك كرامات الأولياء دون ما ثبت للأنبياء بكثير بل لا نسبة بينها وبينه لا في الكمية ولا في الكيفية. وقول الفارسي نقلا عن البيضاوي(1) واستدل به على إبطال الكرامات وجوابه يختص الرسول بالملك، والإظهار إنما يكون بغير واسطة، وكرامات الأولياء باطلاعهم على المغيبات إنما يكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على أحوال الآخرة بواسطة(2) الأنبياء عليهم الصلاة والسلام انتهى.

وهذا الكلام فيه نظر ظاهر فإن الرسول أعم من الملكي والبشري وعبارة السلف دالة على ذلك، والإظهار أعم من أن يكون بواسطة أو غيرها وأكثر الرسل إنما يظهرهم على ذلك بالوسائط كما قال تعالى: **{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِيَدِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ}** (3).

وإطلاع الأولياء على شيء من الغيب هو من الإلهام الذي تضمنه الوحي لا يتقيد بالتلقي عن الملك كما قال تعالى: **{وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ**

ص
-81-

(1) مؤلف هذا التفسير هو قاضي القضاة ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي وهو من بلاد فارس ابن قاضي: شعبة في طبقاته صاحب المصنفات، وعالم أذربيجان، ولي قضاء شيراز قال السبكي والأسنوي توفي بمدينة تبريز سنة إحدى وتسعين وستمائة 691 من الهجرة النبوية وقال ابن كثير وغيره: توفي سنة خمس وثمانين وستمائة 685هـ واسم تفسيره الذي جاء فيه هذا الكلام: أنوار التنزيل وأسرار التأويل اهـ أنظر (التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي) ج 1 ص 296-297.

(2) في الأصل توسط الأنبياء.

(3) سورة الشورى: رقم الآية 51.

إِنَّكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (1)، وهو أعم من أن يكون بواسطة أو غيرها فكلام البيضاوي مردود، والمعروف في حد الكرامة أنها خرق الله العادة لوليه من غير ادعاء التحدي كما في قصة عمر وقصة آصف وقصة مريم وكما يذكر عن أبي إدريس الخولاني وعن أبي العلاء الحضرمي وأمثالهم (2)

(1) سورة القصص: رقم الآية 7.

(2) سبق أن ذكرنا الكرامة التي أكرم الله بها مريم أما قصة آصف فذكرها الله سبحانه وتعالى في سورة النمل حيث أن الباري سبحانه وتعالى أخبر عن قول نبي الله سليمان بقوله: **{ قَالَا يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ }** (النمل:39) وروي أن سليمان قال أريد أسرع من ذلك لأن المقام كما ذكره المفسرون من زمن جلوسه للحكم والقضاء من الصباح إلى أن يقوم من مجلس الحكم ويقدر ذلك بخمس ساعات ولما طلب سليمان أعجل من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك، يريد إذا أغمض عينيه قبل أن يفتحهما فسأل الله بأسائه الحسنى وصفاته العلى أن يحقق طلبه فحقق الله له ذلك كما دل على ذلك قوله تعالى: **{ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَتَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ }** (النمل:40) وهذه هي كرامته التي أكرمها الله بها.

وأما قصة أبي مسلم الخولاني فهي ما أجرى الله عليه من خارق العادة حيث أن الله نجاه من النار لما ألقاه الأسود العنسي فيها وجعل عليه النار بردا وسلاما وكمشيه على البحر وغير ذلك مما أكرم الله به، وأما قصة العلاء بن الحضرمي فإنه لما ذهب إلى البحرين سلكوا مفازة وعطشوا عطشا شديدا حتى خافوا الهلاك فنزل فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا عظيم أسقنا فجاءت سحابة فأمطرت حتى ملأوا الأواني وسقوا الركاب ثم انطلق إلى خليج من البحر ما خيض قبل ذلك اليوم فلم يجدوا سفنا فصلى ركعتين ثم قال: يا حليم يا عليم يا عظيم أجزنا ثم أخذ بعنان فرسه فقال: (جوزوا باسم الله)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: فمشينا على الماء فوالله ما ابتل لنا قدم ولا خف ولا حافر، وكان الجيش أربعة آلاف.

وأما قصة عمر رضي الله عنه فإنه بينما هو ذات يوم يخطب المسلمين على المنبر كشف الله له جيش سارية وقد كاد العدو ينال منه ويلحق به الهزيمة غرة من وراء الجبل فنأدى عمر رضي الله عنه وقد قطع الخطبة يا سارية الجبل تحذيرا له من العدو ومكرهم من وراء الجبل فسمع سارية صوته مع بعد المسافة لأن عمر بالمدينة والجيش بنهاوند، ولا شك أن هذه كرامة أكرم الله بها عمر وسارية وجيشه حيث أراه الله ما لم تجر العادة برؤيته في مثل تلك المسافة البعيدة وأنطقه الله بما فيه النجدة لهذا الجيش الإسلامي من كيد أعدائهم الذين كادوا=

وذلك ونحوه داخل في عموم قوله تعالى: **{ إِلَّا بِمَا شَاءَ }**، وقد دخل فيه ما يحصل للأنبياء بواسطة وبغير واسطة، وكذلك لا يقال: إن أحدا ثبت له هذا بجميع أنواع الغيب كلية وجزئية لأن ذلك لا يكون إلا الله كما قال عن الملائكة: **{ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }** (1)، وقال عن المسيح: **{ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }** (2)، وقال لنبىه صلى الله عليه وسلم **{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }** (3).

= أن يظفروا به من وراء الجبل بندائه سارية باللجوء إلى الجبل بمن معه من الجيش ليتحصنوا به من العدو وقد حقق الله له ذلك بعلمه وكرمه وحكمته ولكن لا تدل هذه القصة على علمه رضي الله عنه الغيب مما يختص الله به أو يخص به أنبياءه وإنما تدل على ما كشف الله له في تلك الحالة الطارئة التي أراد الله فيها أن ينجد أوليائه الذين بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله بما عرض عليه من تلك الحادثة الغريبة نصرا لأوليائه وكتبنا لأعدائهم، بل إنما هذا الحادث الجلل من الإلهام الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "لقد كان فيما قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في

أمتي أحد فإنه عمر" رواه الشيخان وروى البخاري من رواية أبي هريرة ومسلم ومن رواية عائشة رضي الله عنهما قال ابن وهب (محدثون) أي: ملهمون.

ولو لم نذهب إلى هذا الرأي لجاز لنا أن نجعل المستثنين من قوله تعالى: **{فَلَا يُظْهِرُ عَلَيَّ غَيْبِي أَحَدًا إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}** (الجن:27) وقوله تعالى: **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ}** (آل عمران:179) الأنبياء وغيرهم من أفراد الناس وهذه دعوى بلا دليل.

وأما ما يكرم الله به عباده الصالحين المستقيمين من الخوارق للعادة كالأمثلة السابقة فأمر ثابت بالكتاب والسنة. وهذا يتناول عدة جوانب من استجابة الدعاء لهم بإعطائهم عين ما يطلبونه، وتقوية قلوبهم وشد عزائمهم على اقتحام المخاطر ثقة بنصر الله، والذود عنهم كما حمى الله عاصم بن ثابت من قطع العدو رأسه بإرسال الدبر عليهم ولم يستطيعوا أن يعملوا به شيئاً لحماية الله إياه مع كون ذلك غاية أمانهم حيث أن عاصماً قتل من عظمائهم، وسوق الأرزاق العجيبة إليهم كما رزق خبيبا قطيفا من العنب في غير أوانه فصار عجبا للذين رأوا ذلك. (1) سورة البقرة: رقم الآية 32.

(2) سورة المائدة: من الآية 116.

(3) سورة الأعراف: رقم الآية 188.

ولا عبرة هنا بالمكابرة والدعوى المجردة عن الدليل والبرهان كقول بعض الضالين إن ذلك يتأتى للأولياء على سبيل الكرامة فإن هذا لا دليل عليه من كتاب ولا من سنة بل ولا قاله من يعتد به من هذه الأمة، وإنما يعرف عن غلط عن معرفة الله ومعرفة حقه حجابهم وكثر في دينه وخبره ريبهم واضطرابهم وعجزت عن معرفة قدره وعظمته وعموم علمه ألبابهم.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله): وأما قول الفارسي: العلم صفة للنفس أنعم الله بها وهي باقية بعد مفارقة البدن فيجوز أن يكون حاصلها لهم بعدها على وجه أتم وأكمل إلى آخر عباراته.

فيقال: هذا من عجائب جهلهم فإن الذي خلق الروح وصورها وعلمها وقبضها وخلصها من الكدورات البدنية وقشع عنها الظلمة الجسمية هو الذي أخبرنا أن **{عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}** الآية (1)، وأنه لا يعلم من في السموات وأرض إلا الله، وهو القائل لنبيه صلى الله عليه وسلم: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ}**، وهو المخبر عن الملائكة الذين خلصوا من الكدورات وخلقوا من النور، **{قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا}** (2) وهو المخبر عن عبده ورسوله المسيح بن مريم عليه السلام أنه يقول يوم العرض الأكبر: **{وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}** (3)، وهو جل ذكره القائل: **{وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** الآية (4)، فسبحان الله ما أجهل من زعم علم الغيب لغيره تعالى من حي أو ميت

(1) سورة الأنعام: رقم الآية 50

(2) سورة البقرة: رقم الآية 32.

(3) سورة المائدة: رقم الآية 117.

(4) (وتمام الآية الكريمة: **{وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}**).

وما أضله عن سواء السبيل، كيف يعارضون النصوص بهذا الكلام المموه المزخرف ويعتمدون عليه؟ وينذون كتاب الله وراء ظهورهم؟ ويقال لهذا: قد تقدم من الآيات والأحاديث ما يدل على أن الحي لا يعلم جميع الغيب وأن علمه وإن عظم قدره بالنسبة إلى علم الله كنسبة ما يأخذه العصفور في منقاره من البحر وإذا كانت هذه حاله في الحياة فكيف بحاله بعد الممات وإطلاعه على بعض الجزئيات لا يدل على علمه بجميع المغيبات، وأيضاً فالذي ذكره الفارسي لا ينتج الدعوى لأنها وإن تخلصت من الظلمات الجسمانية والكدورات البدنية فلم تخلص من التبعات الكسبية وما اجترحته في الحيلة الدنيوية، وإن تخلصت على وجه الكمال فهي مشغولة بما هي فيه من العالم الأخروي واللذة الحاصلة بالنعيم والجنة والكرامة، وعالم الأرواح عالم عظيم وحالها فيه حال لا يدرك بمجرد العقل والقياس وإنما يعرف بالنصوص الواردة في ذلك والدالة عليه.

(قال الشيخ عبد اللطيف): وأما قوله(1): **{ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}**(2) إلى آخر ما قال من ذكرهم الله واشتعال نار الشوق والمحبة في قلوبهم وأنهم يصيرون فانيين في الله باقين به، به يسمعون وبه يبصرون ونحو ذلك، فمن احتج بهذا على أنهم يعلمون الغيب فهو كمن يحتج بهذا على أنهم يتصرفون وينفعون ويضررون ويدعون لذلك، ويقال لهذا المشبه: متى ثبت أن الله أعطى أحداً من خلقه علم الغيب كلياً وجزئياً في حياته أو بعد مماته ومن الذي أثبت هذا؟ حتى يقال: إن ذلك باق لهم لا يغير مع أن بعض التغير وحنسه يحصل بالموت كالتغير من الحياة إلى الممات ومن الوجود إلى الفناء، قال تعالى: **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}**(3)، وطرد كلام الفارسي أن يقال: إنهم باقون لأن الله لا يغير

ص
-85-

(1) أي استدلال الفارسي بهذه الآية على نصر باطله.

(2) سورة الأنفال: رقم الآية 53.

(3) سورة الرحمن: رقم الآية 26-27.

نعمته عليهم، هذا لو فرض ثبوت ذلك في حال الحياة فكيف ذلك(1)، قد ردت النصوص والبراهين وكونهم يذكرون الله قياماً ووقوداً ويفنون به عما سواه ويسمعون به ويبصرون ويبطشون فهذا يفيد تحقيق التوحيد ون أعمالهم وحركاتهم خالصة لله وقعت بالله والله فهم قد حققوا معنى: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}**(2)، وهذا هو محض الإسلام وجزيل الفضل والإنعام.

وأصحاب هذه الأحوال وهذه المقامات تبقى كرامتهم في الدار الآخرة بمعنى إثابتهم وعلو درجاتهم ولذتهم بما حصلوه من حقائق المعارف ولطائف الكرامة(3) وقوله تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**(4) يدل على هذا كما ذكره البيضاوي ونقله عنه الفارسي لكنه وضعه في غير موضعه واستدل به على غير ما سيق له فإن المعنى الذي دل عليه كلام السلف أنهم لا خوف عليهم مما أمامهم يقدمون عليه ولا يحزنون على شيء مما خلفوه وهذا لا دليل فيه على أن أحداً يعلم الغيب، ثم ساق الفارسي آثاراً تروى في عرض بعض أعمال الأحياء(5) على أقاربهم وعشائرتهم، من الموتى كحديث أبي أيوب وحديث جابر وحديث النعمان والمعنى متقارب، وهذا لا يدل على الدعوى بوجه من الوجوه لأنه من جنس اطلاع الحي على بعض الجزئيات، والكلام والبحث إنما هو في الكل والجميع لا في بعض الجزئيات وليس هذا الجزئي ثابتاً لكل أحد من الأموات فإن الأحاديث لا عموم فيها ولا تدل عليه بل هي خاصة باطلاع البعض على بعض الأعمال لا كلها.

ص
-86-

(1) لو قال المؤلف رحمه الله فكيف بعد الموت وقد ردت النصوص والبراهين لكانت العبارة مستقيمة اهـ .

(2) سورة الفاتحة: رقم الآية 5.

(3) الأولى أن يكون بصيغة الجمع ليكون الكلام على وتيرة واحدة اهـ.

(4) سورة يونس: رقم الآية 62.

(5) ومثل هذه الأحاديث التي أشار إليها حديث عبادة بن الصامت حيث سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمه

ماتت فجأة وأنها لولا ذلك لتصدقت فلو تصدقت عنها أيصلها ثواب ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم، وكذلك أن أبا أيوب الأنصاري لما أصيب بقرب قسطنطينية سأل أصحابه أن يقربوه إلى سورها ليسمع صوت خيول الفاتحين لها وهكذا.

وأما فقر العبد وحاجته، ومصلحته، ومفسدته، وغير ذلك، وظاهر أمره وباطنه وشاهده وغائبه فلا يعلمه إلا الله الذي يعلم السر وأخفى، ومن العجب استدلال هؤلاء بما هو حجة عليهم لا لهم فإن هذه الأحاديث فيها أنه يعرض على الميت عمل قريبه وولده وإذا كان يعرض عليه فعلمه قاصر على نفس المعروض لا يتعداه إلى غيره وإذا اختص بالقرب ففيه التنبيه على أنه لا يعلم عمل غير قريبه وإذا اختص بالعمل دل أنه لا يعلم غيره من عموم الأحوال، فالأحاديث والقرآن حجة عليهم لا لهم والحمد لله.

وأما كلام الملا قاري في شرح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا قبوري عيدا فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم"، قال نقلنا عن القاضي: وذلك أن النفوس الزكية القدسية إذا تجردت عن العوائق البدنية عرجت واتصلت بالملأ الأعلى ولم يبق لها حجاب فترى الكل كالمشاهد بنفسها أو بإخبار الملك من السر له فعمل هذا مبني على كلام ابن سينا ومن وافقه من الفلاسفة القائلين بأن الكتب المنزلة فيض فاض من العقل (1) الفعال على النفس المستعدة الفاضلة

(1) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (الرد على المنطقيين): إن الفلاسفة يقولون: إن الحوادث التي في الأرض تعلمها النفس الفلكية ويسمونها من أراد الجمع بين الفلسفة والشريعة بـ(اللوح المحفوظ) كما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه، وهذا فاسد فإن اللوح المحفوظ الذي وردت به الشريعة كتب الله فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، واللوح المحفوظ لا يطلع عليه غير الله والنفس الفلكية تحت العقول ونفوس البشر عندهم تتصل بها وتنقش في نفوس البشر ما فيها. ولهذا يقول بعض الشيوخ الذين يتكلمون باللوح المحفوظ على طريقة هؤلاء إما عن معرفة بأن هذا قولهم وإما عن متابعة منهم لمن قال ذلك من شيوخه الذين أخذوا ذلك عن الفلاسفة كما يوجد ذلك في كلام ابن عربي وابن سبعين والشاذلي وغيرهم يقولون: إن العارف قد يطلع على اللوح المحفوظ وأنه يعلم أسماء مريديه من اللوح المحفوظ أو أنه يعلم كل ولي كان ويكون الله من اللوح المحفوظ ونحو هذه الدعاوى التي مضمونها أنهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ، وهذا باطل مخالف لدين المسلمين وغيرهم من أتباع الرسل، والمقصود هنا أنهم يقولون إن النفس إذا حصل لها تجرد عن البدن إما بالنوم وإما بالرياضة وإما بقوتها في نفسها اتصلت بالنفس الفلكية وانتقش فيها ما في النفس الفلكية من العلم بالحوادث الأرضية ثم ذلك العلم العقلي قد تخبر به النفس مجردا وقد =

ص
-87-

الزكية فنصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتوهمها أصواتا تخاطبه وربما قوي هذا الوهم حتى يراها أشكالاً نورانية تخاطبه وربما قوي ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمعارف من العقول والنفوس المجردة، وهذه الخصائص تحصل عندهم بالاكْتِسَاب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء.

(وأقوال(1) هؤلاء دخلت على كثير من الناس) إما باطني ملحد أو جاهل

=تصوره القوة المخيلة في صورة مناسبة له ثم تلك الصور تنتقش في الحس المشترك كما أنه إذا أحس أشياء بالظاهر ثم تخيلها فإنها تنتقش في الحس المشترك فالحس المشترك ترتسم فيه ما يوجد من الحواس الظاهر وينتقش فيه ما تصورته القوة المتخيلة في الباطن، وما يراه النائم في منامه والمرور في حال مرضه من الصور الباطنة هو من هذا لكن نفس النبي صلى الله عليه وسلم لها قوة كاملة فيحصل لها تجرد في اليقظة فتعلم وتخيّل وترى ما يحصل لغيرها في النوم.

قيل: هذا الكلام أولاً ليس من كلام قدماء الفلاسفة كأرسطو وأصحابه ولا جمهورهم وإنما هو معروف عن ابن سينا وأمثاله وقد أنكر ذلك عليه إخوانه الفلاسفة كابن رشد وغيره وزعموا أن هذا الكلام باطل ولم يتبع فيه سلفه، وثانياً أنه مبني على أصول فاسدة كثيرة الأصل، الأول: أنه لا سبب للحوادث إلا الحركة الفلكية وهذا من أبطل الأصول، الثاني: إثبات العقول والنفوس التي يثبتونها وهو باطل ثم استفهم شيخ الإسلام ابن تيمية هل منبع الفيض هو النفس الفلكية أو العقل الفعال؟ الثالث: إثبات كون الفيض يحصل من النفس الفلكية فإنه لو سلم لهم ما يذكرونه من أصول فعندهم ما يفيض على النفوس إنما هو من العقل الفعال المدبر لكل م تحت فلك القمر ومنه تفيض العلوم عندهم على نفوس البشر الأنبياء وغيرهم والعقل الفعال لا يتمثل فيه شيء من الجزئيات المتغيرة بل إنما فيه أمر كلي لكنه بزعمهم دائم الفيض فإذا استدعت النفس لأن يفيض عليها منه شيء فاض، وذلك الفيض لا يكون علماً بجزئي فإنه لا جزئي فيه فكيف يقولون هنا إن الفيض على النفوس هو من النفس الفلكية؟ وكلامهم في هذا الموضوع قد عرف تناقضه وفساده فإن العقل إن كان يفيض عنه ما ليس هو فيه كان في المعلول ما ليس في العلة وإن كان لا يفيض إلا ما فيه فليس فيه إلا الكليات ليس فيه صور جسمانية ولا علم بجزئيات ولا مزاج ولا غير ذلك مما يدعون فيضه عن العقل اهـ كتاب الرد على المنطقيين ص 474-478.

(1) والأولى: أن يكون تركيب هذه الجملة كالاتي: والذين دخلت عليهم أقوال هؤلاء إما باطني.

لا يدري أصول الأقوال ومذاهب الناس كشارح المشارق، وإذا كان هذا قولهم في النبوة وأنها مكتسبة على هذا الوجه فلا يبعد أن يقولوا بأن الأرواح إذا تجردت أدركت علم الغيب وصار الكل لها كالمشاهدة، فنعود بالله من زيغ الزائغين وضلال الضالين وتحريف الملحدتين وانتحال المبطلين، والذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن الروح إذا تجردت عن الجسم حال موته يعرج بها فإن كانت روحاً طيبة فتحت لها أبواب السماء وعرج بها إلى الله تعالى ثم تكون طائراً يعلق في شجر الجنة وأرواح الشهداء في جوف طير خضر تسرح في الجنة، هذا الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله يعرف ذلك من عرفه من أهل العلم والإيمان.

وأما هذه الأقوال المبتدعة التي لم تصدر عن معصوم بل ربما صدرت عن من لا يحكم بإسلامه كابن سينا وأمثاله من الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام وهم من أبعد الخلق عنه وقد يقولها من يحسن الظن بهؤلاء ممن يخفى عليه حالهم ولا دراية له بأقوال الخلق ومذاهبهم، والعصمة والسلامة في الاعتصام بحبل الله الذي هو كتابه ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم، وما عدا ذلك أو خالفه فلسنا منه في شيء.

قال الفارسي: الشبهة الثالثة أن الأنبياء لا تصرف لهم يعني لا قدرة لهم على إيصال الخيرات ودفع المضرات في الحياة لقوله تعالى: **{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** (1)، **{وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** (2).

وإذا (3) كان حالهم هذا في الحياة فما ظنك بهم أو بغيرهم في الممات.

(1) سورة الأعراف: من الآية 188.

(2) سورة يونس: رقم الآية 107.

(3) في أصل المخطوط (وإن كان) ولعل الصواب ما أثبتناه في صلب الرسالة من (وإذا كان الخ) =

قال الفارسي: أجيب بأن المراد نفي الملكية الاستقلالية والقدرة الذاتية الكاملة عن غيره تعالى لا مطلقاً كما يدل عليه الاستثناء، وقال صاحب معالم التنزيل: إلا ما شاء الله أن أمك فالآيتان ونحوهما تدل على أن ثبوت القدرة الكاملة لله تعالى بذاته لا من غيره ولا تدل على النفي مطلقاً بل يجوز أن تكون حاصلة لعباده مفاضاً منه ويجوز أن يكون للنفوس الكاملة تصرف في العالم من جهته تعالى بأن يجعلهم متصرفين مدبرين بإذنه ويستجاب لهم دعائهم وتقبل شفاعتهم وينفذ لهم تصرفاتهم، والمدبر المتصرف حقيقة هو الله، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمرأة المجلوة المتصلة إذا استنارت من الشمس صارت منورة للأجسام المظلمة ويجوز أن تكون حالهم بعد مفارقة أرواحهم عن الأبدان في التصرفات كحالهم قبلها بل أتم وأصفى وأكمل وأجلى.

(قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله):

والجواب عن هذا الكلام أن يقال: إن التصرف لفظ عام وعبارة مطلقة يدخل فيها التدبير والتغيير وسائر أنواع الإيجاد والإحداث والإبداع والتأثير والتسخير وغير ذلك من أفعال الربوبية التي تختص به تعالى وكذلك الأسباب العادية التي تقع في عموم الخلق.

ص
-90-

والأول هو الذي قصده بقوله: ودعوى حصول هذا لمخلوق مصادمة ومصادرة لنصوص الكتاب العزيز المصدق وفتح لباب الإلحاد والشرك المحقق فإن هذا الأصل أعني اختصاصه سبحانه بالخلق والإبداع والتدبير والتصريف هو أكثر أصول الإسلام وجلها وقاعدته العظمى التي تدور عليها جميع الأحكام وجميع القرآن من أوله إلى آخره يدل على هذا الأصل ويقره وقد احتج به تعالى على وجوب عبادته وطاعته وأنه الإله الحق دون ما سواه.

= الخ) حيث أن إذا لليقين وإن للشك والله أعلم بالصواب.

وقال تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** (1) فأثنى على نفسه بعموم ربوبيته المتضمنة لخلقه وتدبيره وإلهيته، وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ}** (2). وتأمل هاتين الآيتين كيف استدل فيهما بفعله وتدبيره وخلقه وتصريفه على وجوب عبادته وتحريم اتخاذ الأنداد له وخص ما ذكر في الآية (الأخيرة) لأنه أصل يندرج تحته ما سواه من الجزئيات ولأنه مشاهد محسوس يدركه كل أحد حتى البليد الذي لا يدرك سوى الحسيات ولما في ذلك من بديع الصنع والإتقان وظهور القدرة والشأن فجعل الأرض فراشا والسماء بناء مع عظمهما وسعتهما وما أودع فيهما من الآيات عجائب المخلوقات وأنواع التدبيرات الكليات والجزئيات ما يدل على انفرادته تعالى واختصاصه بهذا الأصل العظيم.

وفي (3) ذلك من إنزال المطر من السماء على التصريف المخصوص والتدبير المتقن المحكم وجعله أصلاً لمادة أرزاق المخلوقات على اختلاف أجناسها وأنواعها وتباين أصنافها وأشكالها ما يدل على أن الله هو المنفرد بالتصريف والتدبير وحده لا شريك له فبطل بنص هذه الآية وعمومها ما زعمه هذا الملحد.

ص
-91-

أما السماء والأرض وما بينهما من المخلوقات والأرزاق فبطريق التخصيص والعموم وما عداهما فبطريق الفحوى والأولى وقال تعالى: **{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ**

(1) سورة الفاتحة: رقم الآية 2.

(2) سورة البقرة: الآية 21-22.

(3) الجار والمجرور خبر مقدم وما يدل مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على الجملة التي قبلها سيقت لتقرير وحدانية الله.

تَشَاءُ وَيَذُلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ{(1) فإن فيها من الرد على من قال بأن أرواح المشايخ تتصرف ما لا تتسع لبسطه هذه الفتاوى، ولكن نشير إلى ذلك إشارة فإن إعطاء الملك ونزعه والعز والذل يدخل تحتها من أفراد الكائنات والجزئيات في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلا الله وفي قوله، (بيدك الخير) ما يدل على أن جميع الخير كليه وجزئيه بيده سبحانه لا بيد غيره كما يفيد الجار والمجرور فأى فرد يخرج عن هذا؟ ويبقى للمشايخ وغيرهم وفي قوله: **{تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ}**{(2) ما يدل على أنه المختص بتصريف الأعصار والدهور ليس لأحد معه شركة، وفي قوله تعالى: **{وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ}**{(3) ما يدل على أنه المختص بإخراج الأشياء وإيجادها فيخرج الضد من الضد والجنس من الجنس والمشاكل من(2) المشاكل، وقوله: **{وَيَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}**{(5) فيه اختصاصه بالتصرف في أرزاق عباده الباطنة والظاهرة وأن مصدر ذلك مشيئته النافذة فأى شيء يبقى بعد هذا للأنبياء والمشايخ؟ لو كانوا يعلمون؟ وقال تعالى: **{مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}**{(3) وهذه الآية الشريفة عامة لكل تدبير وتصريف في الدنيا والآخرة من جميع الخيرات وسائر الرحمات فهو الذي يمن بذلك ويفتحه لمن يشاء من عباده وما يمسك فلا وجود لمرسل له من بعده، وقوله تعالى وهو العزيز الحكيم فيه تنبيه على مورد التدبير والتصريف ومصدرهما وأنه اختص بذلك لأنه المتفرد بالعزة والحكمة كما يعلم من تعريف الجزئيين، وإذا اختص به ولم يتصف به غيره فأى شيء يتصرف ذلك الغير ويدبر؟ قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}**{(4) فأمر عباده

ص
-92-

(1) سورة آل عمران: رقم الآية 26.

(2) بضم الميم.

(3) سورة فاطر: رقم الآية 2.

(4) سورة فاطر: رقم الآية 3.

جل ذكره أن يذكروا هذه النعمة العظيمة وهي اختصاصه وتفرد به بخلقهم ورزقهم من السماء والأرض.

والرزق والخلق يدخل تحتها كل تدبير وتصريف من الأمور الباطنة والظاهرة ولذلك قال بعده هذا: **{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}** فاستدل بربوبيته وعمومها وعلى إلهيته ووجوب عبادته وطاعته ثم قال: (فأنى تؤفكون) إنكاراً عليهم فيما صنعه من الإعراض عن عبادته والاعتراف بإلهيته مع قيام برهانها الأكبر ودليلها الأعظم وهو ما ذكر في صدر الآية وهو سبحانه كثيرا ما يستدل بربوبيته وخالقيته ورازقته على إلهيته وعبادته كما قال تعالى: **{أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}**{(1) وقال جلت قدرته: **{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}**{(2)، وقال تعالى: **{أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصراً وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ}**{(3)، فلو قيل: بأن غيره يتصرف لكان هدما لهذا الأصل وإبطالا لهذا البرهان، وقال تعالى عن خليله إبراهيم أنه قال لقومه: **{قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ}**{(4).

أنظر إلى ما تضمنته هذه الآيات(5) الكريمة من تقرير بعض أفراد ربوبيته تعالى لخليله إبراهيم أفضل الرسل بعد نبينا عليهما الصلاة والسلام من خلقه وهدايته واختصاصه تعالى بإطعامه وإسقاؤه وما معنى إقحام(6) ضمير الفصل في

ص
هذه

-93-

(1) سورة النحل: رقم الآية 17.

(2) سورة النحل: رقم الآية 20.

(3) سورة الأعراف: 191-192.

(4) سورة الشعراء: رقم الآية 75-82.

(5) في الأصل (هذه الآيات) والصواب ما أثبتناه حيث أنها آيات عديدة وليست آية واحدة كما لا يخفى ذلك على الناظر في الآيات التي سجلها المؤلف رحمه الله تعالى.
(6) ولو لم يستعمل المصنف هذه العبارة (إقحام ضمير الفصل) لكان أحسن لأن هذه العبارة يستعملها النحاة ويريدون بها زيادة ذلك اللفظ ولكنهم لجأوا إليها تأديبا كما يزعمون وكما=

الجملة دون غيرها من الجمل وكذلك شفاؤه إذا مرض واختصاصه بإماتته و إحيائه بعد الموت وتعليق الطمع به تعالى وحده في مغفرة خطيئته يوم الدين، هذا الكلام صدر عن خليفه أعلم العالمين به مستدلا به على إلهيته تعالى وحده والبراءة مما عبد من دونه من الأنداد والآلهة على اختلافها وتنوعها وحكاه الله تعالى عنه مثنيا عليه به مقرا له راضيا به عنه فهذا حال أنبياء الله وأوليائه عليهم الصلاة والسلام، فليت شعري ماذا يقول الملحدون في مثل هذه الآيات الكريمة؟ وسيأتيك إبطال تأويله الفاسد الذي مر في حكاية كلامه أنفا وقال تعالى: **{وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَاوُونَ}** (1) وقال تعالى: **{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}** (2) إلى قوله تعالى: **{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}** فإن في هذه الآيات من تقرير الاختصاص بالتدبير والتصريف في الكليات والجزئيات مع اختلاف أنواعها والاستدلال بذلك على إلهيته وحده لا شريك له ما لا يتسع لتقريره هذا الموضوع والليبي يدرك ذلك بمجرد تلاوة هذه الآيات وكذلك الحال في قوله في سورة الواقعة: **{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ}** إلى قوله: **{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَسْيًا لِلْمُغْوِينَ}** (3)، وكذلك قوله: **{قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}** (4) ففي هذه الآية أعظم دليل وأقوى حجة على إبطال من زعم أن أرواح الأنبياء والمشايخ تصرفا وتدبيراً وذلك من وجوه ظاهرة متعددة في الآية، وكذلك قوله تعالى:

ص
-94-

=تجري على ألسنتهم أيضا هذه الكلمة (الصلة) ويريدون أنها زائدة ونحن نعتقد أن كل حرف من حروف كتاب الله أنزله الله لهداية الخلق وليس فيه حرف زائد ولائلا يتوهم ذلك تعديل تلك العبارة أولى في نظري والله أعلم بالصواب.

(1) سورة النحل: رقم الآية 53.

(2) سورة النحل: رقم الآية 10.

(4) سورة الواقعة: رقم الآية 58.73.

(5) سورة الزمر: من الآية 38.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (1)

فقف عند هذه الآية وتدبر فيها من العلوم والمعارف فإنها أصل عظيم وبرهان ظاهر مستقيم يكفي من أراد الله هدايته، قال بعض السلف وهو ابن سميط: دلنا ربنا على نفسه بهذه الآية يشير إلى أن أفعاله شاهدة بربوبيته وألهيته دالة على ذلك ولو لم يكن في هذه الآية إلا قوله: **{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ}** لكان كفيفا في رد قول هؤلاء الملاحدة وقال تعالى لنبيه: **{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}** وقال جل شأنه: **{اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ}** (2) للاستغراق المفيد لعدم خروج فرد من الأفراد لسواه وقال تعالى: **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** (3) وقال تعالى لنبيه: **{قُلْ إِنِّي لَا أملكُ لَكُمْ صَرًّا وَلَا رَشْدًا}** (4)، وقال تعالى: **{قُلْ لَا أملكُ لِنَفْسِي صَرًّا وَلَا تَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}** (5) وقال جل جلالته: **{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ}** (6) فهذه الآيات تقطع أصول شجرة الشرك والإلحاد وترد مذهب أهله القائلين بأن لأرواح المشايخ تصرفا وتدبيراً في الكون، تعالى

ص

(1) سورة الأعراف: رقم الآية 54.

(2) والصواب والله أعلم (وال للاستغراق المفيد الخ).

(3) سورة يونس: رقم الآية 107.

(4) سورة الجن: رقم الآية 21.

(5) سورة يونس: رقم الآية 49.

(6) سورة الأنعام: رقم الآية 50.

ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: "يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم" الحديث (1)

وفي حديث التنزل الإلهي إذا بقي ثلث الليل أن الله تعالى يقول: "لا أسأل عن عبادي غيري" ويروى: أن الله أوحى إلى داود أنه لا يعتصم بي عبد من عبادي دون غيري أعرف ذلك من نيته فتكيد السمووات والأرض إلا جعلت له فرجا ومخرجا ولا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأي واد هلك (2) قال الشيخ رحمه الله: وقول المعترض في الجواب عن الآيتين إن المراد نفي المالكية الاستقلالية والقدرة الذاتية الكاملة عن غيره

(1) وقد ترك الناسخ أو حصف من صدر الحديث فقرات واستشهد بما بعدها ورمز بما جرت به عادة المحدثين بالإشارة إليه في تمام الحديث بقوله: الحديث وهذا يوهم أن أول ما استشهد به هو بداية الحديث ودفعنا لهذا الوهم المتوقع نذكر تلك الفقرات التي في بداية الحديث ثم نذكر تمام الحديث، أول الحديث: "يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ...". وتما الحديث: "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وحنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وحنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" رواه مسلم من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(2) رواه أحمد من رواية وهب بن منبه بلفظ آخر قال الله عز وجل في بعض كتبه: "بعزتي أنه من اعتصم بي فإن كادته السموات ومن فيهن والأرضون بمن فيهن فإنني أجعل له من ذلك مخرجا ومن لم يعتصم بي فإنني أقطع يديه من أسباب السماء وأخسف من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء ثم أكله إلى نفسه كفى بي لعبد مالا إذا كان عبدي في طاعتي أعطيه قبل أن يسألني وأستجيب قبل أن يدعني فأنا أعلم بحاجته التي ترفق به منه".

تعالى لا مطلقا كما يدل عليه الاستثناء إلى آخره:

فالجواب أن هذه الشبهة إنما نشأت من الجهل بمعاني كلام الله وباللغة العربية التي نزل بها القرآن العظيم فإن قوله: **{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا}** (1) عام لكل فرد من الأفراد وجزئي من الجزئيات لا يخرج عنه شيء وإن قل لا على سبيل الاستقلال ولا غيره وكذلك فيه نفي القدرة العامة المطلقة ولم يقل أحد من الخلق بإثبات الملك المستقل والقدرة الذاتية لغير الله تعالى إلى من عطل الصانع ولم يثبت للعالم ربا مدبرا، والآية سيقت لخطاب من يعترف بالربوبية ويثبت الصانع ولا يقول بالملك الاستقلالي ككفار العرب المقربين بالربوبية المشركين في العبادة والإلهية. وعبارات المفسرين تدل على هذا أنه في نفي جميع أنواع الملك وإن لم يكن استقلالا والعربي يدرك ذلك بذوقه وعربيته ولا يحتاج فيه إلى برهان وكذلك قوله تعالى: **{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ}** (2) الآية، فإنها دلت نضا على انتفاء وجود كاشف لما يمسه الله به مكن الضر وعلى انتفاء راد ومانع لما أراد الله تعالى به من خير وفضل، وهذا أعم من أن يكون بطريق القدرة الذاتية أو بغير ذلك كما هو صريح الآية، وقد تقدم لهذه الآيات نظائر تدل على اختصاصه تعالى بالأمر والتدبير والنفع والضر وإنما شاء كان وإن لم يشأ الناس وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس. وقوله: يجوز للنفس الكاملة تصرف في العالم من جهته تعالى إن أراد أن ذلك يحصل بغير الأسباب العادية كما يدعيه هو وأمثاله لأرواح المشايخ والصالحين فهذا كذب وتجويز للشرك والباطل والضلال، وقد تقدم رده وإن أراد الأسباب العادية في الحياة الدنيوية كالذي يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر والإنس والجن فهذا النوع لا يطلق عليه إن جعلهم متصرفين مدبرين

ص
-97-

(1) سورة الأعراف: من الآية 188.

(2) سورة يونس: من الآية 107.

وهذا جهل عظيم ومع هذا فلا يجوز أن يطلب منهم كل شيء ويقصدوا بما لا يقدر عليه إلا الله، وأما قوله: والأنبياء والأولياء في صدور التصرفات والكرامات عنهم في الظاهر مظاهر لتصرفاته تعالى كالمراة المجلوة المتصلة إذا استنارت من الشمس صارت منورة للأجسام المظلمة، فهذه العبارة تمويه وترويج للباطل، وحققتها أن العباد يتصرفون في العالم ويدبرون أمره وتصدر الأمور عنهم لأنهم مظاهر، والقائلون بأن الخلق مظاهر لذاته هم أهل الحلول المعطلة لوجود الصانع وربوبيته ومباينته لمخلوقاته وهم من أكفر خلق الله وأضلهم سبيلا فإنهم يعبدون كل ما استحسونه ومالت نفوسهم إليه لظنهم أنه من مظاهر الحق.

والقائلون بأن لأرواح الأولياء في صدور التصرفات عنهم مظاهر لتصرفاته تعالى فيهم مشابهة قوية للحلولية ولعل هذه العبارة إنما أخذت عنهم يبين ذلك أنهم إن أراد الأسباب العادية الحسية فهذا لا يختص بالأنبياء والأولياء وإن أراد ما هو أعم من ذلك من الأمور الباطنية والتدبير بالقوة المؤثرة فهو شبيه بالقول الأول مشتق منه **{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهتْ فَلُوهُمُ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}** (1).

وقوله: ويجوز أن تكون حالهم بعد مفارقة أرواحهم عن الأبدان في التصرفات كحالهم قبلها بل أتم وأصفى: فجوابه أن حالهم قبل المفارقة حال عبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موت ولا حياة ولا نشورا كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: **{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا}** (2) وقال له أيضا: **{لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}** (3) وقال تعالى: **{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}** (4).

ص
-98-

(1) سورة البقرة: من الآية 118.

(2) سورة الجن: رقم الآية 21.

(3) سورة آل عمران: رقم الآية 128.

(4) سورة القصص: رقم الآية 56.

فإذا كانت هذه حاله صلى الله عليه وسلم فما ظنك بغيره من سائر الخلق وإذا اتحدت الحالة بعد المفارقة وقبلها فليس فيه حجة للمعتز لأن لا يملك ولا يتصرف لا في حياته ولا في مماته هذا إن سلم أن الحال مستوية في الحياة وبعد الممات والذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أن الحال بعد مفارقة الأرواح للأبدان ليست كحال الحياة من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها، ويكفي للمؤمن قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" (1) فهذا الحديث يدخل تحته جميع أعماله الباطنة والظاهرة وأنه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا وأن الأسباب العادية الحسية تزول بالموت فكيف بغيرها؟ وإذا كان لا يملك لنفسه شيئا وعمله قد اقطع فكيف يتصرف ويدبر ويستمد منه وتطلب منه الحوائج؟ إن هذا لهو الضلال المبين والجهل الواضح المستبين وقد تقدم في الحديث أن نسمة المؤمن طائر يعلق بشجر الجنة فإذا كانت في الجنة تعلق بأشجارها فأى دليل دل على أنها تدبر وتتصرف وتتجاوز هذه الحالة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم إلى التدبير والتصريف؟ ولقد كنا غنيين عن رد هذا القول لظهور بطلانه وضلال قائله ولكن غلبة الجهل على الجمهور دعت إلى الجواب. وأما ما نقله عن البيضاوي، واعتمده من أن أرواح الأولياء تتصرف فهو دليل على جهله وعدم معرفته بأخذ العلم من محله وذلك أن البيضاوي قال في قوله تعالى: {وَالنَّارِعَاتِ غَرْقًا} إنها صفات ملائكة الموت فإنها تنزع أرواح الكفار من أبدانهم (بشدة) وتنشط أرواح المؤمنين أي تخرجها برفق ويسبحون في الإخراج ويستبقون بالأرواح إلى مقرها وما أعد لها وتدبر ذلك الأمر المعد هذا هو الذي قدم وأيد وهو الموافق لعبارات السلف، والمحققون من المفسرين جزموا بأنها صفات الملائكة واقتصر على علمه ولم يذكروا سواه وما وقفت على قول أحد حكى هذا الذي ذكر عن البيضاوي سوى البيضاوي

ص
-99-

(1) رواه مسلم من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

مع أنه قدم سواه وأخره بل قدم عليه القول بأن هذه صفات للنجوم وذكر وجهه فإن كان قول البيضاوي حجة فقد قدم على هذا أنها صفات للنجوم. وعلى قول هذا المعتز واحتججه بعبارة البيضاوي يطلب من النجوم ويستمد منها ويقال بأنها تتصرف لأن البيضاوي ذكر أنها من المدبرات أمرا بل يرجع حينئذ إلى عبادة النجوم وما كانت عليه الصابئة في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام وكذلك قال في تفسيره أو صفات أنفوس الغزاة أو صفات خيلهم وعلى هذا يطلب منهم ومن خيلهم ويستمد لأنها من المدبرات أمرا سبحانه الله ما أجهل هذا الرجل وأقل علمه بدين الإسلام الذي اتفقت عليه دعوة الرسل بل ما أجهله بتوحيد الربوبية الذي أقر به المشركون من سائر الأمم الذين آمنوا بربوبية الله وأشركوا في عبادته. وأما ما نقله عن الشافعي أنه قال: الدعاء عند قبر الكاظم (1) ترياق

(1) والكاظم هو الإمام السابع من الأئمة الإثني عشرية الذين تعتقد الشيعة عصمتهم من الكبائر والصغائر وهذا الإمام الذي زعم المردود عليه أن الشافعي يقوله: الدعاء عند قبره الخ هو موسى الكاظم ابن جعفر الصادق وأن سلسلة إمامتهم على زعم الشيعة الإمام الأول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ثم ابنه الحسن بوضعية له من أبيه ثم أخوه الحسين من بعده ثم ابنه علي زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم ابنه علي الرضا ثم ابنه محمد الجواد ثم ابنه علي الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ثم ابنه محمد المهدي المنتظر وهو الإمام الثاني عشر، ويزعمون أنه دخل سردابا في دار أبيه بسر من رأى ولم يعد بعد وأنه سيخرج في آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلا وأمنا كما ملئت ظلما وخوفا وهؤلاء قد جاوزوا الحد في تقديسهم للأئمة فرعوا أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء وقالوا إن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله وأن من مات غير معتقد بالإمام فهو مات على الكفر وغير ذلك من اعتقاداتهم الباطلة في الأئمة وكفى به إثما مبينا .

وأشهر تعاليم الإمامية الإثني عشرية أمور أربعة: العصمة، والمهدية، والرجعة والتقية، أما العصمة فيقصدون بها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر في كل حياتهم ولا يجوز عليهم شيء من الخطأ والنسيان وأما المهدية فيقصدون

ص
-100-

البراهين الإسلامية في رد الشبهة الفارسية - عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (2)

مجرب فهذا حال أهل الجهل والضلال يعتمدون الأكاذيب ويحرفون النقل الصحيح ومن عرف الشافعي وعرف علمه ومذهبه عرف أن هذا من أوضح الكذب وأظهره ولا يشك في ذلك إلا جاهل فإن الشافعي منع من استقبال القبر الشريف قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الدعاء وأمر باستقبال القبلة عند ذلك، كما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية بل حكى الإجماع عليه وهو من أعلم الناس بأقوال العلماء ومذاهبهم وحكاه غير واحد من أهل العلم كابن القيم الجوزية، والشافعي رحمه الله من أشد الناس متابعة للسنة ونهيا عن البدع فكيف يجيز ما دلت الأحاديث على المنع منه كحديث علي بن الحسين عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال: "لا تتخذوا قبوري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا علي حيث كنتم"، والعيد اسم لما يعتاد مجيئه والتردد إليه لدعاء أو سلام، ووجه الدلالة من هذا أنه صلى الله عليه وسلم منع من تحري الدعاء واعتياده عند أشرف القبور وأفضلها منبها على ما دونه بطريق الأولى وذكر العلقمي عن الشافعي أنه قال: أكره أن يعظم مخلوق حتى يتخذ قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده وبهذا تعلم فقه الرجل ودينه، وهذه العبارة، وهي قولهم: الدعاء عند قبر فلان

=وردت بعض الأحاديث في شأن المهدي رواها الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم كقولهم عليه الصلاة والسلام: "لو لم يبق في الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي" ومثل قوله: "لو لم يبق إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً" ولكن لم نر من المسلمين من ذهب مذهب الإمامية في تعيين المهدي ودعواهم أنه الإمام الثاني عشر الذي اختفي حياً وسيعود في آخر الزمان

وأما الرجعة فهي عقيدة لازمة لفكرة المهديّة، ومعناها: أنه بعد ظهور المهدي المنتظر يرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الدنيا ويرجع علي والحسن والحسين، بل وكل الأئمة، كما يرجع خصومهم كأبي بكر وعمر فيقتص لهؤلاء الأئمة من خصومهم ثم يموتون جميعاً ثم يحيون إلى يوم القيامة. وأما التقية فمعناها المداراة والمصانعة وهي مبدأ أساسي عندهم وجزء من الدين يكتُمونه عن الناس فهي نظام سري يسرون على تعاليمه فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر فإذا قوية شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة في زعمهم اهـ التفسير والمفسرون ج 2 ص 7-9.

ترباق مجرب قد تنازعها عباد القبور والمتبركون بها فمنهم من يدعي ذلك لقبر أبي حنيفة ومنهم من يدعيه لقبر معروف الكرخي، وعباد عبد القادر وأحمد البدوي والحسين عندهم ما هو أعظم من ذلك وأطم، وبعضهم يفضل الدعاء عندها على الدعاء في المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وبهذا وأمثلة عمرت المشاهد وعطلت المساجد وبنيت القبور وأرخت الستور على التوايبت مضاهاة لبيت الله والله نسأل وإليه نرغب أن ينصر دينه ويظهره على سائر الأديان ويقم له أنصاراً وأعواناً يدعون إليه ويجاهدون فيه. وأما قوله: قال حجة الإسلام محمد الغزالي(1): كل من يستمد به في

(1) هو الإمام أبو حامد زين الدين محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي الفقيه الشافعي فيلسوف متصوف تلميذ لإمام الحرمين أبي المعالي وتولى التدريس بمدرسة النظامية ببغداد ثم حج ورجع إلى دمشق واستوطنها عشر سنين ووصف فيها كتاباً ثم صار إلى القدس والإسكندرية ثم عاد إلى بلده بطوسى مقبلاً على التصنيف والعبادة والنظر في الأحاديث خصوصاً البخاري وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المتأخرين غلطوا بسبب تعظيم الغزالي المنطق وذكر أن الغزالي أول من أدخل المنطق في أصول الفقه وكتب مقدمة من المنطق في أول كتابه المستصفى وزعم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف هذا المنطق ووصف الغزالي في المنطق معيار العلم

(القسطاس المستقيم) و(محك النظر) وصنف كتاباً في مقاصد الفلاسفة في المنطق والحكمة الإلهية والحكمة الطبيعية عرف فيه مذاهبهم وحكى مقاصدهم.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الرد على المنطقيين) وصنف الغزالي في آخر عمره كتاب (تهافت الفلاسفة) وبين كفرهم بسبب مسألة قدم العالم وإنكار العلم بالجزئيات وإنكار الميعاد وبين في آخر كتبه أن طريقتهم فاسدة لا توصل إلى يقين ودمها أكثر مما ذم طريقة المتكلمين لكن بعد أن أودع كتبه المظنون بها على غير أهلها وغيرها من معاني كلامهم الباطل المخالف لدين المسلمين ما غير عبارته وعبر عنه بعبارة المسلمين التي لم يريدوا بها ما أرادته وقال أبو حامد يفرق بين عالم الأمر وعالم الخلق فيجعل الأحسام عالم الخلق والنفوس والعقول عالم الأمر وهذا ليس من دين المسلمين بل كل ما سوى الله مخلوق عند المسلمين والله تعالى خالق كل شيء. والمقصود هنا أن كتب أبي حامد وإن كان فيها كثير من كلامهم الباطل إما بعبارتهم أو بعبارة=

الحياة يستمد به بعد الوفاة، فالجواب: أن هذا من جنس ما قبله نقل غير صحيح عن قائل غير معصوم لا يحتج به بإجماع المسلمين، وقول الناقل قال حجة الإسلام مجرد تمويه وتخيل، وحجة حجة الإسلام في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وما عدا ذلك فيؤخذ منه ويترك كما قال مالك ويقول يقول علماء الإسلام: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو حامد قد دخل في الفلسفة واعتنى بكتب الفلاسفة ودخل عليه من الشر بسبب ذلك مالا يحصيه إلا الله ومن تأمل كتبه وكلامه في الإحياء وفي غيره عرف ذلك إن كان ممن له ممارسة في العلوم الشرعية قال الفقيه ابن العربي المالكي: دخل شيخنا أبو حامد في جوف الفلسفة ثم أراد أن يخرج فلم يحسن الخروج، هذا كلام تلميذه (1) وهو من أعرف الناس به، هذا إن صح النقل وما أظن هذا ثبت عنه. وأما قوله: قال بعض من المشايخ العظام: رأيت أربعة أشخاص من الأولياء يتصرفون في قبورهم كما تصرفوا في حياتهم أو أزيد الشيخ عبد القادر وعن اثنين آخرين إلى آخره... فالجواب أن مشايخ الضلال وجهلة الصوفية الذين لا دراية لهم بدين الله وشرعه قد يصدر منهم هذا ونحوه بل قد حكي عن بعضهم القول باتحاد

ص

-103-

=أخرى فهو في آخر أمره يبالغ في ذمهم وبين أن طريقتهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريقة المتكلمين، ومات الغزالي سنة 505هـ خمس وخمسمائة هجرية وهو مشغول بالبخاري ومسلم اه كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص198-194.

(1) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري الأندلسي من حفاظ الحديث رحل إلى المشرق وصحب ببغداد أبا حامد الغزالي صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ من كتبه (أحكام القرآن) وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القيس على شرح موطأ بن أنس وعارضة الأحوزي على كتاب الترمذي وغير ذلك من الكتب النافعة، وأبوه من فقهاء أشبيلية ورؤسائها وولد سنة 468هـ وتوفي رحمه الله سنة 543هـ أنظر هامش كتاب الرد على المنطقيين ص482 التفسير والمفسرين ج2 ص449-448.

الخالق والمخلوق والقول بحلول الخالق في خلقه والقول بتعطيل الصفات الثبوتية وكل هذه الأقوال حكيت واشتهرت وخلدت في الدفاتر عن أشياخ يعتقد كثير من الناس أنهم أهل معرفة وتحقيق وأنهم من المشايخ العظام. ومن بنى دينه على هذا رجع إلى ما عليه النصارى من تقديم أقوال أبحارهم ورهبانهم على ما بأيديهم من كتب الله وعندهم من هذا النوع شيء كثير وحكايات معروفة، وقد عاب الله ذلك عليهم وفرهم به، قال تعالى: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}** (1).

وقد فسر صلى الله عليه وسلم هذه العبادة بطاعتهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله كما في حديث عدي بن حاتم وهو حديث صحيح مشهور اعتمده المفسرون وأهل الحديث، وقد رأينا بمصر من يقول: بأن البدوي وزينب والدسوقي يتصرفون وبعضهم يزيد إلى سبعة وبعضهم إلى سبعين، وكل هذه من أقوال عباد القبور، وقد أطلها القرآن وسائر الكتب السماوية وما جاءت به النبوات بل بطلانه معلوم بالضرورة من دين الإسلام. وأما قول ابن زروق: إن إمداد الميت أقوى من إمداد الحي لأنه في بساط أقرب الحق وحضوره، فهذا القول كما سبق قول عمن لا يرتضي ولا يؤخذ بقوله ولا يهتدي ونحن لا نمنع أن أقوال الصالحين في هذا المعنى كثيرة (2) ولكن ليست بشيء، ومعنا أصل عظيم لا يضل من اتبعه ولا يشقى وهو كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وقرب العبد من الحق وحضوره لا يفيد هذا فإن جميع الخلق قريب بالنسبة إلى علم الحق وخواصه لهم قرب خاص

ص
-104-

(1) سورة التوبة: رقم الآية 31.

(2) وفي الأصل (كثير) بدون تاء التأنيث والصواب بالتأنيث لوجوب المطابقة بين المبتدأ والخبر، ووزن فعيل وإن كان مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقتيل وجريح إلا أن المطابقة والمشاكله أمر مهم عند العرب أرباب الفصاحة والبلاغة والله أعلم بالصواب. وأيضا الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث ما كان مؤنثه على وزن فعلى كقتيل قتلى وجريح جرحى.

بالنسبة إلى الحفظ والإعانة والنصرة والتأييد والتسديد، والملائكة لهم قرب أخص والأرواح الطيبة كذلك، ومع هذا فقد قيل لأفضلهم وسيدهم (ليس لك من الأمر شيء) (إن عليك إلا البلاغ) وتقدم ما فيه كفاية لأهل الحق. وأما علم الأرواح بالزائرين وأحوالهم فلا دليل فيه لأن كونه يعلم الزائر ويرد عليه سلامه لا يدل على أنه يعلم حاله مطلقا ويتصرف ويدبر الأمر هذا لا مناسبة بينه وبين ما قبله بوجه من الوجوه وأي تلازم بينهما؟ وقد يعرف الكافر من يزوره وهو فيما هو فيه من العذاب.

وأما قوله: هكذا في شرح المشكاة فقد تقدم أن الحجة ليست في قول مثل هذا. وأما قوله: وليت شعري ما أراد المنكرون للاستمداد إن أرادوا أن الأولياء لا تصرف لهم أصلا (لا) في الحياة ولا في الممات فهو بعينه مذهب أهل الاعتزال، والجواب أن يقال: قد تقدم أن الرجل لا يعرف معنى الاعتزال، ويسمي المؤمنون الذين يعتزلون الشرك وأهله ويجتنبون الأقوال المكفرة الشركية معتزلة لجهله بالاعتزال. والقول بأن الأولياء لا تصرف لهم أصلا لا في الحياة ولا في الممات بغير الأسباب العادية الحسية هو مذهب أهل الإسلام قاطبة الذين اعتزلوا الشرك وأهله.

ص
-105-

وقوله: وإن أرادوا أن لا تصرف لهم حقيقة في الحالتين بل المتصرف والمؤثر حقيقة هو الله تعالى، وينسب إليهم مجازا فهو بعينه اعتقادنا، والجواب أن يقال: لا تصرف لأحد من الخلق بدون الأسباب العادية لا حقيقة ولا مجازا، وهذا هو الذي دل عليه كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم من الآيات والأحاديث. وأما الأسباب العادية الحسية فهي تضاف إلى العبد حقيقة بمعنى أنها صدرت منه وقامت به وحصلت بمشيئته وكسبه ولا يمنع من إطلاق هذه الأفعال حقيقة عليه وإن كان الله هو الخالق له ولعمله كما قال تعالى: **{وَاللَّهُ**

حَلَفَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (1).

ومن قال: لا تضاف إليه هذه الأفعال إلا مجازاً فهو من جنس قول المجبرة (2) ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن كسب العبد وأفعاله الحسنية تضاف إليه حقيقة، وأما أفعال الله التي ليست من جنس أسباب العباد ولا في قدرتهم فهذه لا تضاف إلى العبد أصلاً لا حقيقة ولا مجازاً. ولكن المعترض خلط هنا ولم يميز وقوله: إن أرادوا أنه لا تصرف ولا كرامة لهم بعد الوفاة أصلاً بناء على أنه لا حياة لهم فهذا مع ما فيه من إنكار عذاب القبر باطل لما ذكرناه من السماع والعلم لهم ولا شك أنهما يتفرعان على الحياة، فالجواب: يعلم مما تقدم وهذا كله حشو وتكرير ليس تجديداً للدليل هو مجرد تكرير الدعوى ولا يخفى أن الملحدين وعباد القبور القائلين بالتصرف يموهون على الناس بأن تصرف الأولياء كرامة وأن من نفاه فقد نفى الكرامة، وهذا المعترض زاد في التمويه بقوله: بناء على أنه لا حياة لهم وأن هذا يلزم منه إنكار عذاب القبر، وكل هذا تشبيه وترويج للباطل وتمويه على الجهال. وأهل الحق لا ينكرون الكرامة التي جاء بها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** (3) وقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبَشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}** (4) وقوله: **{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}** (5) وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" (6)

ص

-106-

(1) سورة الصافات: رقم الآية 96.

(2) والمجبرة هم الجبرية وهي الطائفة التي تعتقد أن العبد مجبوراً لا اختيار له وهذا الأصل الذي بنوا عليه مذهبهم فاسد من عدة وجوه، أن ما يقدم عليه من خير وشر لا اختيار له وعمله هذا كحركة المرتعش وحركة الشجرة التي يحركها الريح وهذا جزم عظيم من حيثيات العبد.

(3) سورة يونس: رقم الآية 62.

(4) سورة فصلت: رقم الآية 30.

(5) سورة آل عمران: رقم الآية 169.

(6) رواه البخاري ومسلم وتام الحديث اقرأوا إن شئتم **{فَلَا تَعْلَمَ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةٍ**

وكذلك يثبتون خرق العادة للأولياء في بعض الأحيان كما في قصة آصف صاحب سليمان عليه السلام وكما في قصة أصحاب الكهف وكما تقدم في قصة عمر رضي الله عنه، ولكن ليس في هذا دليل على أنهم يتصرفون ولا تلازم بين التصرف والكرامة لأن الكرامة خرق الله العادة لوليه من غير فعل من ذلك الولي (1).

وقول هذا الجاهل: إن ذلك بناء على أنه لا حياة لهم فهذا جهل عظيم وخلط ذميم، فالمسلمون متفقون على إثبات عذاب القبر ونعيمه وإن أريد بالحياة تنعم الأرواح والأجساد وعذابها وإحساسها ونحو ذلك كما ورد فهذا ثابت لا شك فيه لكنه لا يسمى حياة (2) وإنما يطلق اسم الحياة على غير

أَعْيُنَ جَزَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (السجدة: 17).

(1) بل ولا علم منه ولا يعرف مما يجري له من خارق العادة.

(2) وذكر شارح الطحاوية موضوع علاقة الروح بالبدن وفصل ذلك حيث قال: فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغيرة الأحكام: أحدها تعلقها به في بطن الأم جنيناً، الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض، الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه، الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفتات البتة فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة، الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجسام وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا

ص

-107-

نوما ولا فسادا فالنوم اخو الموت فتامل هذا يرح عنك إشكالات كثيرة.

وقال الشارح رحمه الله تعالى: فالحاصل أن الدور ثلاث: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار. وقد جعل الله لكل دار أحكاما تخصها وركب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعا. ومن هنا يتضح جليا أن الحياة البرزخية تختلف عن الحياتين الأخريين وما تعلق المردود عليه به هباء منثور ولا وجود له البتة أنظر شرح الطحاوية ص348.

الأموات، والحياة البرزخية الثابتة للشهداء ونحوهم مقيدة لا مطلقة. وعلى كل فهذا الفارسي لم يفرق بين الحياة وبين الإحساس بالألم والعذاب ولذلك استشكل وأثبت حياة البرزخ للكفار والفساق كما ثبت للشهداء وأمثالهم وزعم أن نفي التصرف في والتدبير عن الميت نفي للحياة يلزم منه نفي الإحساس. وإن أريد أن لهم حياة مساوية للحياة الدنيوية الحسية، وإن حال البرزخ كحال الدنيا، فهذا كذب بحت ومكابرة للعقل والحس بل ولكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: **{إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}** (1) وقال تعالى: **{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ}** (2) وقال جلت قدرته: **{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعَٰقِبِينَ يَتَفَكَّرُونَ}** (3) وقال: **{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}** (4) والآيات في هذا كثيرة. وفي الحديث: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" وقد تقدم الحديث.5

فأي فائدة لخلط هذا المعترض وتشبيهه مع وجود هذه النصوص؟ وما أظن أنه فعل هذا إلا لقصد الخديعة والتمويه على الجهال أو هو من أصحاب الجهل المركب الذين وصف الله أعمالهم بقوله: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَخْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}** (6)

ص

-108-

(1) سورة الزمر: رقم الآية 30.

(2) سورة الرحمن: رقم الآية 26.

(3) سورة الزمر: رقم الآية 42.

(4) سورة الأنبياء: رقم الآية 35.

5 رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

(6) سورة النور: رقم الآية 39. وفي الأصل خطأ في الآية الكريمة حيث كتب الناسخ أو كسراب والصواب ما أثبتناه والله أعلم.

وما نقله عن القاضي في الكلام على قوله تعالى: **{وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ}** يؤيد ما قلناه ويرد على من قال: إن الروح عرض يفنى بفناء البدن. وأما قوله: وإن أرادوا وقالوا بكرامتهم تصرفاتهم في النشأة الأولى وأما بعد مفارقة الأرواح لا تصرف لهم ولا كرامة وعليهم البيان، فنقول: قد تقدم البيان، والفرق بين التصرف المثبت وهو ما جرت به العادة من أعمال العباد وكسبهم (1) وتقدم الكلام على الكرامة وأنها ليست كما يظنه الجاهلون أنهم ينفعون ويضرون ويتصرفون وتقدم من الأدلة ما فيه الكفاية لمن أراد الله هدايته، ومن يضل الله فلا هادي له. ومن عجائب جهله أنه يقول: ليس لهم دليل على هذا لا في الكتاب ولا في السنة وأقوال السلف انتهى. والجاهل يخفى عليه الحق ولو كان واضحاً في نفسه. ثم قال المعترض: من الشبهات التي تدور على السنة المنكرين أن العبد لا بد له أن لا يستعين بغيره تعالى ففي الفاتحة **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** لأن معناها نخضك بالعبادة والاستعانة فكما يجب على العباد تخصيصه تعالى بالعبادة كذلك يجب عليهم تخصيصه بالاستعانة فلا يعبدوا إلا إياه ولا يستعينوا إلا به (2) تعالى، هكذا زعم هذا المعترض أن هذه شبهة وكذب في ذلك فإن هذا هو الحق الذي نطق به القرآن في مواضع وجاءت به السنة وعلم وجوبه بالضرورة من دين الإسلام وبالفطر المستقيمة، لكن هؤلاء اجتاحتهم

ص
-109-

(1) ولعل هنا حذفاً -وغيره- أي غير المثبت.

(2) في الأصل إلا منه ولعل الصواب ما أثبتناه حيث أن الأفصح (تعدياً) الاستعانة وما اشتق منه بالباء والله أعلم بالصواب.

الشياطين وصرفتهم عن أصل الفطرة فصاروا في شك وريب نسأل الله الثبات على دينه. قال المعترض: ويجاب عن هذه الشبهة بوجوه ذكر منها أن الفاتحة مقروءة على السنة العباد تعلمها للسلوك والوصول أي ينبغي أن يحمدا الله ويذكروه بالصفات الجليلة مع الحضور والإخلاص ونفي الخواطر والوساوس مجتهدين في دفعها حتى تندفع بالكلية ولا يبقى في ملاحظتهم إلا الله فحينئذ يستحقون أن يخاطبوا الله ويقولوا: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** (1).

وقصد هذا أن تخصيصه بالاستعانة في حال السلوك والخطاب وعدم وجود السوي وارتفاع الوسائط، ومراده أن في غير تلك الأحوال تباح الاستعانة بغير الله وتجاوز فنعوذ بالله من الجهل المعمي.

ويقال لهذا: إن الله تعالى ذم المشركين وكفرهم مع إخلاص الدعاء والاستعانة به في حال ارتفاع الوسائط والسوي لإشراكهم في حال وجود ذلك كما قال تعالى: **{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا}** (2) وقال: **{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ اللَّهُ آدَاءً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}** (3)، ويقال هذه الآية دلت على أصليين عظيمين ألا يعبد إلا الله ولا يستعان إلا به، كما قال تعالى عن شعيب: **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}** (4) وقال: **{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَاب}** (5)، ونحو هذه الآيات التي فيها

ص
-110-

(1) سورة الفاتحة: رقم الآية 5.

(2) سورة الإسراء: رقم الآية 67.

(3) سورة الزمر: رقم الآية 8.

(4) سورة هود: رقم الآية 88.

(5) سورة الرعد: رقم الآية 30.

الجمع بين التوكل والاعتماد والعبادة والإنابة. وإذا كان التوكل والاعتماد في العبادات وغيرها شرطا(1) في حصول الإيمان كما في قوله تعالى: **{وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}** (2). فالاستعانة به في نيل المطلوب ودفع المرهوب أصل وشرط في حصول الإيمان المطلق لما بينها وبين التوكل من التلازم فتسلم أن الفاتحة فيها التعليم للسلوك والوصول وهذا هو دين الإسلام ومعرفة سلوك الصراط والوصول إلى الله هو أصل الدين الذي يجب التزامه، ومتى جاز للعبد أن يخرج عن هذا السلوك وطلب هذا الوصول في حال من الأحوال؟ حتى يقال: إن هذا مخصوص فإن العبد كلف بطريق السلوك وطلب الوصول إلى الممات كما قال تعالى: **{وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}** (3) ومتى بقي في قلب العبد ملاحظة واستعانة بالوسائط فهو على درجتين إما أن يلاحظ ما جرت به الأسباب العادية مما هو في طاقة الخلق وقدرتهم فالاعتماد على هذا والتعلق به ينقص الإيمان الكامل وتنحط به درجة العبد لكن لا يخرج به عن الإسلام إذا كان أصل اعتماده وتوكله على الله لا على غيره. وأما ملاحظة السوي والوسائط في غير الأسباب العادية كالذين يلاحظون أرواح الأنبياء والأولياء ويرجونهم ويستمدون منهم هذا هو الشرك الأكبر الذي لا يجامع أصل الإيمان ولا يطابق قوله: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** والبراءة من هذا ونفيه هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله وإلى جنته ومرضاته. وعبارة البيضاوي التي نقل هذا عنه تدل على هذا وتقرره لأنه ذكر أن الله تعالى خوطب بقوله: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** بعد ذكر الحقيق بالحمد ووصفه بما تقدم من الصفات التي اختص بها، فلهذا خوطب بذلك أيا من

ص
-111-

-
- (1) في الأصل شرط بالرفع والصواب ما أثبتناه حيث أنه خبر كان بالنصب.
 - (2) سورة يونس: رقم الآية 84.
 - (3) سورة الحجر: رقم الآية 99.

هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص والترجي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود وكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغائب حاضرا إلى آخر عبارته. وأراد بهذا توجيه الالتفات إلى الخطاب من الغيبة وهو صريح في أن العبد يطلب منه هذا ويجب عليه لأن تخلف المدلول إخلال بهذا الواجب ونقض لهذا العهد.

وقول الجاهل: إن هذا تعليم بطريق السلوك والسلوك مبدأ ومنتهى ففي المبدأ ذكر الله عبادته وطاعته وفي الانتهاء فناء عما سواه وعن فئانه فلم يبقى إلا الله وجميع الأشياء الكونية يردّها العارف الواصل إن أراد بهذا الكلام ونحوه. إن هذا خاص بأناس أهل السلوك وأرباب الطرائق، وإن غيرهم من الخلق وسائر المسلمين لا يجب عليهم تخصيصه بالعبادة والاستعانة فهذا جهل يضحك منه العقلاء ولم يقل هذا أحد ممن يعرف ما يخرج من بين شفتيه إلا أن يكون مكذبا متلاعبا. وكلام المفسرين وأهل العلم يرد ما قال هذا المعترض، ويدل على ما قاله المسلمون من وجوب عبادته تعالى وحده ووجوب الاستعانة به وحده في هذه الآية وعلى زعم هذا يقال في قوله: **{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}** (1)، إن العبادة تخصه تعالى في حال دون حال لأن هذا مقام تعليم لطريق السلوك وفيه فناء عن السوي، وهذا انسلاخ من الدين وتكذيب لنص الكتاب المبين. وأما قوله: فلأن حق العابد أن لا يلاحظ وقت العبادة غير معبوده فالاستعانة لغيره تعالى فيها ممنوعة ولكن لا تدل على أن

ص
-112-

(1) وذلك أن مدلول رد الشبهة على زعم المردود عليه (الفارسي) لا يحصل العبد العبادة والاستعانة على الله إلا في حال قراءة الفاتحة لأن هذا مقام السلوك والوصل والترقي الذي يطرح العابد الالتفات إلى غير الله وفي غير هذا المقام لا تكون العبادة والاستعانة خالصتين الله بل يجوز أن يشرك الإنسان مع الله من شاء من الأولياء والأوثان وغير ذلك، ولا شك أن هذا شرك ما بعده شرك ولم يسبق إلى هذا الاعتماد أحد قبله حتى المشركين وعباد القبور، ولقد عمل الشيخ في تفنيد هذه الشبهة عملا جليلا حيث حارب هذه الترهات وقطع دابرها قبل أن يكون لها رواج والله المنة في تقييض من يدود عن ساحة توحيد بسيفه وقلمه ورحم الله الشيخ وأثابه بالروح والريحان.

الاستعانة ممنوعة مطلقا كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم بعضا قال الله تعالى: **{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}** (1) فيقال: هذا كلام قريب مما قبله إلا أنه خص الاستعانة به تعالى في حال العبادة وعلى كلامه أن في غير العبادة يجوز أن يستعين بغيره ويستمد منه سواء تعالى. وهذا القول فيه حل لريقة العبودية وخروج عن الأحكام الشرعية ومنع لكتاب الله أن يعمل به إلا في حال دون حال وما رأيت من عباد القبور من بلغ جهله إلى هذه الغاية وتصرف في كلام الله بمقتضى رأيه ومذهبه، وأين هذا عن معنى الحصر والاختصاص المستفاد من تقديم المعمول على العامل وأين هو عن العموم اللفظي الذي اعتبر أهل العلم والتأويل بل تعرفه العامة من المسلمين وتقر به.

وأما قوله: - كيف والمؤمنون يتعاونون بعضهم بعضا- فهذا من غباوته فإن التعاون بين المؤمنين لا يدل على أنهم يتعاونون فيما هو من خصائص الربوبية بالقدرة والتأثيرات الباطنية وإنما ذلك خاص بالأسباب العادية والفعال المشاهدة الحسية ومن لم يفرق بين هذا وما قبله فهو ممن طبع الله على قلبه.

وما ذكره من الحصن الحصين من طلب الإعانة إذا انفلتت الدابة ليس هو من جنس الاستعانة الشركية فيما لا يقدر عليه إلا الله بل هو من جنس الأسباب العادية لأنهم حاضروه فخطبهم من جنس خطاب الحي الحاضر وأين هذا؟ من الاستعانة من أصحاب القبور من الأولياء والمشايخ.

وقال المعترض: وقد يجاب عن هذه الشبهة بأن الاستعانة طلب المعونة وهي بالأسباب التي يسهل بها الفعل وتقرب الفاعل وبالأسباب التي

ص

-113-

(1) سورة المائدة: رقم الآية 2.

يتوقف عليها الفعل المسمى بالاستطاعة، فمرجع الاستعانة هنا طلب التوفيق والهداية ولا شك أنهما فعلا الله مختصان به انتهى كلامه.

والجواب: أن هذا الرجل لا يدري ما يقول، فإن عبارته متناقضة، فأولها فيه جعل الاستعانة بالأسباب التي يتوقف عليها الفعل والأسباب التي يسهل الفعل وهذا عام، وفي آخرها قال: ومرجع الاستعانة هنا إلى طلب التوفيق والهداية وهي أخص من الأسباب التي يتوقف عليها الفعل والتي تسهله فقد يوجد السبب ولا يوجد المسبب وليس بين السبب والمسبب تلازم أصلا ومراده بهذا الكلام المختلف أن: التوفيق والهداية مختصان بالله وما عداهما فمستعان به غيره ويستمد ممن سواء تعالى الله عن هذا القول وأي دليل؟ دل على أن المقصود بالآية نوع من الاستعانة خاص دون سائر الأنواع ثم من جهله ساق بعد هذا الكلام عبارة البيضاوي فيها تقسيم المعونة إلى ضرورية وغير ضرورية وهي حجة عليه فإن البيضاوي أدخل جميع الأقسام في الآية وبين أن هداية الصراط المستقيم هي الإعانة المطلوبة وهذا عام في كل ما يستعان به تعالى عليه من أمر الدنيا والآخرة فإن الصراط المستقيم لا يخرج عنه إلا أفعال المغضوب عليهم والصالين فهو لفظ عام يدخل تحته من المقصود والإرادات والأعمال الباطنة والظاهرة والغايات والوسائل كل (1) ما أريد به وجهه تعالى وكان صوابا على المنهاج المحمدي وعبارة البيضاوي ترد قول هذا المعترض وتشهد لما قلناه ولكنه نظر إلى ما فيه من التقسيم فظن أن ذلك حجة له وهو عليه.

ص

-114-

وأما قوله: فأقيل ما معنى الاستمداد والاستعانة من الأنبياء والأولياء قلنا معناه الذي نريد به التوسل بهم إلى الله في المهمات فقط بأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك حاجتي هذه وأتوسل بهذا العبد المقرب المكرم عندك أن تعطيني كذا وكذا بلطفك وكرمك.

(1) (وفاعل يدخل (كل ما أريد الخ).

فيقال لهذا: هذا الكلام ينافي ما قبله وما بعده لأنك صرحت أولاً بأنه يستمد منهم ويستعان بهم ويقصدون في الحوائج ويعلمون الغيب ويتصرفون ويدبرون، ولا يصلح تفسير هذا بأن المراد أن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك حاجتي هذه بهذا العبد ونحو هذا الكلام، فإن الأول صريح في سؤال العباد وليس فيه تعرض لسؤال الله بهم والقولان متنافيان. فإما أن يكون الرجل مصاباً في عقله أو قصد التمويه والمغالطة والشقشقة ترويحاً على العوام وهي مما يزرى عند ذوي الأفهام، ويقال أيضاً: قولك بعد هذه العبارة: أو يقول: يا عبد الله يا ولي الله اشفع لي صريح في منفاة هذا ويطابق الأول من بعض الوجوه ولكنه يخالفه من حيث أنك هنا ذكرت الشفاعة وفي الأول جازمت بالتصريف والتدبير، والشافع لا يكون متصرفاً مدبراً وإنما ينال بجاهه عند المتصرف المدبر إذا تبين هذا- وأن الرجل مخلط- فاعلم أن مسألة الله بجاه الخلق نوع ومسألة الخلق مالا يقدر عليه إلا الله نوع آخر. فمسألة الله بجاه عباده منعها أهل العلم ولم يجزها أحد ممن يعتمد به ويقنطد به كالأئمة الأربعة وأمثالهم من أهل العلم والحديث إلا أن ابن عبد السلام (1) أجاز ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقيدته بثبوت

(1) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي عز الدين الملقب بسطان العلماء فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ولد ونشأ في دمشق وزار بغداد سنة تسع وتسعين وخمسائة 599هـ فأقام شهراً ثم عاد إلى دمشق فتولى الخطابة والتدريس بزواية الغزالي ثم الخطابة في الجامع الأموي ولما سلم الصالح إسماعيل بن العادل قلعة (صفد) للإفرنج اختاراً أثر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة فغضب عليه وحيسه ثم أطلقه فخرج إلى مصر فولاه صاحب الصالح نجم الدين أبواب القضاء والخطابة ومكثه من الأمر بالمعروف ثم اعتزل ولزم بيته ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن كان في أولادك من يصلح لوظائفك وطفناه فقال: لا، وولد سنة سبع وسبعين وخمسائة 577هـ وتوفي بالقاهرة سنة ستين وستمائة هجرية ومن كتبه (التفسير الكبير) و(الإمام في أدلة الأحكام) و(قواعد الشريعة) و(الفوائد) و(قواعد الأحكام في إصلاح الأنام) و(ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام) و(وبداية السؤل في تفضيل الرسول) و(الفتاوى) و(الغاية في اختصار النهاية) و(فقه وإرشاد إلى الإجاز في بعض أنواع المجاز) و(في مجاز القرآن) و(مسائل الطريقة) تصوف و(الفرق بين الإسلام والإيمان) و(رسالة مقاصد الرعاية) هـ، الأعلام للزركالي ص.

ص
-115-

صحة الحديث الذي جاء في ذلك وهو حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ادع الله يا محمد أن يرد علي بصري فأمره أن يتوضأ ويصلي ويدعو الله وفي دعائه أسألك بنبيك محمد، قال ابن عبد السلام: إن صح الحديث فيجوز بالنبي صلى الله عليه وسلم خاصة والحديث في سنده من لا يحتج به عند أهل العلم كما لا يخفى على أهل الصناعة.

وجمهور الناس من أهل العلم يقولون: معنى الحديث إن صح: التوسل بدعائه صلى الله عليه وسلم في حياته كما كان الصحابة يتوسلون بدعائه في الاستسقاء وفي غيره، وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فليس من هديهم وطريقتهم أن يسألوا الله به، بل لما قحطوا زمن عمر استسقى وتوسل بدعاء العباس كما تقدم، وبالجملة فهذه المسألة نوع ولا يخرج الإنسان عن مسألة الله وإنما الكلام في سؤال العباد وقصدتهم من دون الله. كما هو صريح كلام هذا المعترض. وسؤال العباد والاستعانة بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك جلي. ولو قال: يا ولي الله اشفع لي فإن نفس السؤال محرم. وطلب الشفاعة منهم يشبه قول النصارى: يا والدة الله اشفعي لنا إلى الابن والإله.

وقد أجمع المسلمون على أن هذا شرك. وإذا سألهم معتقداً تأثيرهم من دون الله فهو أكبر وأطم وهو صريح كلام هذا المعترض فيما تقدم لكنه مخاتل موسوس.

وقوله: وأما ما يريد به العوام فمع اعتقاد التأثير ممنوع بل شرك وكذلك السؤال من الأنبياء والأولياء أموراً مختصة بالله تعالى، وبعض أفعالهم عند زيارة القبور فهو حرام قطعياً. وأما التوسل بالوجه الذي بين فهو جائز بالأخبار والآثار فيقال: أي فرق بين ما ذكرته من أن أرواح الأولياء تتصرف وتدبر وتعلم الغيب ويستعان بها وبين ما ذكرته عن العوام؟ بأن قلت: إن العوام يعتقدون أنها تفعل وتؤثر بغير إذن الله وأنها مستقلة بالربوبية فهذا لا يقوله أحد ممن يعترف بأن الله رب كل

ص
-116-

شيء. وإن قصدت أنه يقولون إنها مفوضة وتأثر وتتصرف وتعلم فهذا عين قولك سواء بسواء ولا فرق بينك وبينهم.

وإنما ذكرت اعتقاد العوام هنا مجرد تلبيس، وكل من نظر في كلامك عرف أنه هو الذي نسبته إلى اعتقاد العوام وقوله: وكذلك السؤال عن الأنبياء والأولياء أموراً مختصة بالله تعالى إن أراد به غير الأسباب العادية فهذا هو الذي فيه النزاع وهو عين كلامه أن أرواح الأولياء تتصرف ويطلب منها قضاء الحاجات ودفع المهمات وهذا مختص بالله وقد زعمه لغيره، وإن أراد به الأسباب العادية تطلب من غيره تعالى كسؤال المخلوق ما يقدر عليه من دفع العدو أو تعليم ما يعلمه من العلم وما في وسعه من الإطعام والصدقة والدعاء ونحو ذلك فهذا لا يمنع منه، والكلام إنما هو في النوع الأول الذي وقع النزاع فيه.

وأما حديث عثمان بن حنيف وحديث ابن الجوزي وحديث أنس فهذه الأحاديث حجة عليه لا له لأنه ليس فيها استمداد من المخلوق والاستغاثة به بل فيها الاستمداد من ولي المدد ومالكة سبحانه.

ص
-117- واستسقاء عمر ومعاوية بالعباس ويزيد حجة لأهل الحق القائمين أنه لا يستسقى بالأموات ولا يستعان بهم لأن بالمدينة وغيرها من الأنبياء والشهداء والسابقين الأولين من هو أفضل من العباس ومن يزيد بن الأسود ولا استسقى بهم أحد زمن الصحابة ولا في القرون المفضلة فدل على أن ذلك ليس من دين أهل الإسلام وأنه من أبطل الباطلين والسنة أولى بالاتباع وأحق، ثم إن هذا المعترض أتى في آخر كلامه بشبهة سامجة تخالف ما تقدم فقال: إذا تقرر أن أعمالنا تعرض عليهم بواسطة الملائكة أو بواسطتهم فيجوز أن يكون نداؤنا لهم والتوسل بهم يعرض عليهم فيدعوا لنا بالخير ويشفعوا فيشفعوا، والجواب أن يقال: أين الداعي والشافع؟ من المدير المتصرف؟ وقد تقدم لك وتكرر أنك تقول: بأنهم يدبرون ويتصرفون ويمدون فما بالك رجعت القهقرة وجعلتهم داعين شافعين، والشفيع إنما يشفع بجاهه وكرامته عند من يفعل ولا فعل له هو بنفسه فلا أدري أي المذهبين تختار؟ وأي الطريقتين أرجح عندك؟

أما الطريقة الأولى فطريقة من أشرك في الربوبية وزعم أن ثم مدبرين وفاعلين ومتصرفين.

والطريقة الثانية فطريقة مشركي العرب ومن ضاهاهم وشابههم من عباد القبور الذين يعتقدون أنهم إذا سألوهم وتعلقوا بهم(1) نالوا بجاههم وشفاعتهم، وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى: **{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلْأَتْنُبُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}**(2) وقال تعالى: **{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}**(3) وبعض الجهال يظن أنه إذا قال: أنا أريد شفاعتهم وجاههم وأعتقد أن الله هو المؤثر أن ينجوا بهذا من الشرك ويكون مسلماً وقد عرفت مما تقدم أن هذا هو الذي كانت عليه العرب في زمانه صلى الله عليه وسلم وأنهم لم يعتقدوا التدبير والتأثير لغر الله تعالى، قال الله تعالى: **{قُلْ مَنْ بَرَزَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ}**(4) والآيات في هذا كثيرة فيها أنهم يعترفون الله بالتدبير والتصريف ولكنهم قصدوا من آلهتهم مجرد الجاه والشفاعة وقول هذا قد علم مما ذكرنا أن قول القائل: يا شيخ عبد القادر شيئاً الله استمداد منه جائز. فيقال له: تقدم لك أنك تقول: إن الذي نريد التوسل بهم إلى الله بأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك بعبدك وتقدم قولك: بأنهم يدعون لنا ويشفعون. وهذه العبارة الأخيرة صريحة في طلب عبد القادر بنفسه وهذا هو الذي تريدون وهو الذي انطوت عليه

(1) في أصل المخطوط (عليهم) والأفصح تعدية فعل تعلق بالباء لا بعلى وإن جاز نيابة حرف الجر بعضها عن بعض

والأحسن استعمال الأفصح والله أعلم.

(2) سورة يونس: رقم الآية 18.

(3) سورة الزمر: رقم الآية 3.

(4) سورة يونس: رقم الآية 31.

الضائر ولكنكم تارة تصرحون وتارة تكتمون وتظهرون غيره وعلى كل فأنتم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك كما نعت الله بذلك إخوانكم الأولين.

وأما حكاية الياضي في تكلمة روض الرياحين(1) أن رجلا استغاث بعبد القادر فأغيث ورأى عند ذلك رجلا عليه ثياب شديدة البياض ونحو هذا الكلام فهذا ليس من أدلة أهل الإسلام ولا يثبت به بإجماعهم حكم من الأحكام ويحتمل أن هذا المستغيث رأى خيالا أو جانا فتوهمه عبد القادر وليس كذلك إلا هذا(2) إن صح النقل ولا يمكن تصحيح مثل هذه الحكايات، ولو لم يكن من الموانع إلا جهالة الراوي لدين الإسلام وعدم معرفته بصحيح الأحكام، والحكاية عن الشيخ عبد القادر أنه يقول: من استغاث بي في كربة ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه ومن توسل بي إلى الله في حاجة قضية له ومن صلى ركعتين ثم يخطوا إلى جهة العراق إحدى عشر خطوة ويذكر اسمي ويذكر حاجته فإنها تقضى(3).

وهذا الكلام البشع الخبيث نسبه إلى هذا الشيخ الموحد خطأ عظيم وزلل وخيم وقد ابتلي رحمه الله تعالى بمن يعتقد فيه نوعا من الإلهية ويجعله ندا لرب العالمين كما ابتلي بهذا علي بن أبي طالب وابنه الحسين وغيرهم من سادات المؤمنين، وكل من عرف عبد القادر ووقف على كلامه الذي نقله الثقات عنه يجزم ببراءته من هذا وسلامته من هذه الشركيات والخرافات التي ينزه عنها العاقل فضلا عن العالم الفاضل.

وعند النصارى وأشباههم من هذه الحكايات ما يملأ الدفاتر وكانت العرب في الجاهلية تعج على عبادة اللات والعزى ومناة ونحو ذلك بمثل هذه الحكايات الضالة والأفاويل الباطلة بل ربما سمع بعضهم الخطاب من نفس

ص
-119-

(1) في أصل المخطوط (وأن رجلا) ولعل الصواب بدون الواو.

(2) وفي أصل المخطوط (وليس كذلك هذا بدون الاستثناء) والصواب والله أعلم ما أثبتناه حيث أن تركيب الكلام ومعناه ركيل إلا بالاستثناء.

(3) في الأصل (فإنه) والصحيح والله أعلم ما سجلناه.

معبوده: قال الله تعالى: **{ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}** (1) وقال تعالى: **{اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ}** (2) وقال تعالى: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** (3) وقال تعالى: **{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فِيمَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى}** (4).

وقد خرج الطبراني بسنده أنه كان بالمدينة منافق يؤذي المسلمين فقالوا قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق فقال لهم صلى الله عليه وسلم: **"لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل"**، فمنع من إطلاق هذا اللفظ حتى في الأسباب العادية سدا للذريعة الشركية وهو سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ويروى عن أبي عبد الله القرشي أحد مشايخ الطريقة أنه قال: استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه الغريق بالغريق، وعن ذي النون استغاثه المخلوق بالمخلوق كاستغاثه المسجون بالمسجون، ولعبد القادر في كتابه (فتوح الغيب) ما هو قريب من هذا الكلام وهذه هي حال أولياء الله وعباده الصالحين يأمرون الخلق بما يوجب صرف قلوبهم ووجوههم إلى الله

وحده لا شريك له والإناية إليه والاعتماد عليه. كما قال عن إمامهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: **{أَفْرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ}** (5) وقال تعالى لنبيه: **{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا}** (6) فكيف يقول غير الرسول صلى الله عليه وسلم استغيثوا بي ومن استغاث

ص
-120-

(1) سورة الجاثية: رقم الآية 18.

(2) سورة الأعراف: رقم الآية 3.

(3) سورة الانعام: رقم الآية 155.

(4) سورة طه: الآية 123-124.

(5) سورة الشعراء: الآية 75-81.

(6) سورة الجن: رقم الآية 21.

بي فرجت عنه سبحانه الله ما أجهل أعداء الله وقال تعالى: **{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ}**(1)، وتقديم الجار والمجرور يفيد الاختصاص وأن العباد لا يرغبون إلا إليه وفي الحديث: "من لم يسأل الله يغضب عليه"(2) وفيه من حديث ابن عباس: "إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"(3)، وقال تعالى: **{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ}**(4).
فلأي شيء يستغاث بغيره؟ ألكون غيره أعلم وأرحم وأحكم ولماذا؟ تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق وصلى الله على أشرف المرسلين وإمام المتقين نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا غفر الله لكاتبها ولمؤلفها ولوالديهما والمسلمين آمين.
الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات الطيبات وتزداد بشكره العطايا والبركات وتنال الرغبات والخيرات وتدفع بالالتجاء إليه البليات والمضرات لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه ولا حول ولا قوة إلا به لا إله إلا هو رب الأرض والسموات وما بينهما ورب البريات.

ص

-121-

(1) سورة الشرح: الآية 7-8.

(2) رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث أبي هريرة مرفوعا .

(3) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

(4) سورة البقرة: رقم الآية 186.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .
ونسأل الله وهو لطيف بعباده خبير بأحوالهم أن يهب لنا من لدنه رحمة ويهيئ لنا من أمرنا رشدا ويحسن عاقبتنا في الأمور كلها ويجيرنا وإخواننا المسلمين أينما كانوا من ضيق الدنيا وعذاب الآخرة ويرزقنا حسن الخاتمة عند الممات إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

وبعد: فإن هذه الرسالة القيمة المفيدة بضاعة ثمينة وسلعة غالية لم يسبق لها رواج بعد، ولكن الباري أراد أن تظهر هذه الجوهرة المكنونة من صدفها لتتلأأ بعد أن خفيت ردحا من الزمن رغم أن مضمونها الذي احتوته سلاح حاد فتاك يجب أن يحمله كل جندي يغامر لإعلاء كلمة الله ورفع راية التوحيد وتقويض صرح الشرك ويدافع عن حوزة الإسلام والمسلمين لأن الغرض الوحيد من تأليفها رد العدوان السافر الذي شنه بعض أهل الشبه الذين انطمست بصائرهم على جمال هذا الدين الحنيف بهائه ونزاهته لتشيويه وتقبيحه ومحو معالمه البراقة التي تترأى في الأفاق كلها وإيقاع العوام وأمثالهم من مطموسي القلب في شبكات الشرك والوثنية والكفر والإلحاد.

ص

-123-

ومن هنا ندرك تماما قيمتها العلمية المرموقة وأن من حظي بها وعرف ما حوته من المعاني الروحية والعلوم الخيرة استطاع بعون الله أن يستنير بها وينير الطريق لغيره من التائهين الحيارى، ويفهر عدو الإسلام والمسلمين ويغلبهم بهذا السلاح الفتاك الذي لا يغلب حامله لأنها صناعة من صنع الله الذي أتقن كل شيء، ولا شك أن مالكة يدمر كل ما من شأنه أن يعوق السير الحثيث إلى الغاية المنشودة كي يصل السائرون إلى تلك المعالم الرفيعة دون أن يتعثروا في طريقهم إليها أدنى انزلاق ولذلك أرى لزاما علي أن أوصي بإخواني في الله الدعاة الميدانيين والمفكرين المثقفين الواعين خاصة والمسلمين عامة أن يولوا عناية بالغة لهذه الجوهرة قراءة وتعلما وتعلما ونشرا في المعمورة حتى تكون بعون الله الغالب حربا على أعداء الله وسلما لأوليائه والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل وإياه أسأل أن ينفع بها كل من علمها وعمل بها ودعا إلى مضمونها إيجابا وسلبا وجميع المسلمين ويجعل هذه الجهود المتواضعة خالصة لوجه الله الكريم ويغفر لي ولوالدي وللمؤلفها والحامل على عملها وجميع المسلمين إنه جواد كريم وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه ومن ترسم خطاهم إلى يوم الدين.

ص
-124-

وقد وقع الفراغ من هذا العمل آخر شهر محرم سنة تسع وأربعمائة وألف من الهجرة النبوية يوم الخميس الموافق سبعة وعشرين من المحرم 27/1/1409هـ.

كتبه

محمد العارف بن عثمان بن موسى الأرومي الهرري.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المراجع والمصادر

- 1-القرآن الكريم.
- 2-موطأ ابن مالك.
- 3-صحيح البخاري.
- 4-صحيح مسلم.
- 5-سنن الترمذي.
- 6-سنن أبي داود.
- 7-سنن النسائي.
- 8-مسند الإمام أحمد.
- 9-رياض الصالحين للنووي.
- 10-بلوغ المرام للإمام ابن حجر العسقلاني.
- 11-تجريد الصريح.
- 12-نيل الأوطار للشوكاني.
- 13-فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني.
- 14-تيسير العلام شرح عمدة الأحكام للشيخ عبد الله آل بسام.
- 15-شرح مسلم للإمام النووي.
- 16-سبل السلام للأمير الصنعاني.
- 17-فقه الإسلام شرح بلوغ المرام للشيخ عبد القادر شيبه الحمد.

ص
-127-

- 18- التمهيد لابن عبد البر.
- 19- الولاء والبراء في الإسلام تأليف محمد بن سعيد القحطاني .
- 20- الموالاتة والمعاداة للحماس الجعلود.
- 21- شرح العقيدة الطحاوية.
- 22- شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس.
- 23- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
- 24- تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان آل الشيخ.
- 25- العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- 26- اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية.
- 27- فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية.
- 28- كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- 29- كتاب الفوائد لابن القيم الجوزية.
- 30- الآيات البيئات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات للعلامة نعمان بن محمود الألوسي.
- 31- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- 32- تفسير ابن كثير.
- 33- الجامع البيان في تأويل آي القرآن للعلامة ابن جرير الطبري.
- 34- تفسير البيضاوي.
- 35- حاشية الجلالين للشيخ سليمان الجمل.
- 36- نيل الأوطار للشوكاني.
- 37- الأديان للشيخ عبد القادر شيبه الحمد.
- 38- التفسير والمفسرون للدكتور محمد بن حسين الذهبي.
- 39- سيرة ابن هشام.
- 40- البداية والنهاية لابن كثير.
- 41- مقدمة ابن خلدون.

ص
-128-

- 42- التاريخ الكبير للطبري .
- 43- تهذيب التهذيب للعسقلاني.
- 44- تقريب التهذيب له رحمه الله.
- 45- فتح القدير الجامع بين الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني.
- 46- منهاج التأسيس والتقديس في الرد على داود بن جرجيس للمؤلف.
- 47- مصباح الظلام في الرد على من كذب الإمام للمؤلف نفسه.
- 48- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول للشوكاني.
- 49- إمتاع العقول بروضة الأصول.
- 50- حاشية الخضر على شرح ابن عقيل في النحو.
- 51- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.
- 52- رسالة في آيات الصفات له.

ص
-129-